غارات نورمان صقلية على مدينة تنيس المصرية
(1154 – 1177م / 548 – 573هـ)
محاولة للتفسير

الدكتور
ممدوح محمد مغازي
مدرس تاريخ العصور الوسطي
كلية الأداب – جامعة بنها

غارات نورمان صقلية على مدينة تنيس المصرية
(1154 – 1177م / 548 – 573هـ)
محاولة للتفسير

الدكتور
ممدوح محمد مغازي
مدرس تاريخ العصور الوسطي
كلية الآداب – جامعة بنها

مُقدمة

تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب قصة طويلة متقلبة ومتغيرة، كثير من فصولها كان حرباً وضرباً، وقليل من فصولها الأخرى كان علاقات سلمية هادئة أسهمت إسهاماً مباشراً في مسيرة البشر نحو عالم أفضل وأكثر تقدماً وبعداً عن التعصب الديني الذي ساد العصور الوسطي التي نحن بصددها.

وموضوع هذه الدراسة يحتمل هذين الوجهين من أشكال العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي في ذلك العصر الوسيط، إذ هو يتعلق بظهور النورمان في صقلية وجنوب إيطاليا والدور الذي لعبوه في عالم البحر المتوسط وحرصهم أولاً على أن تكون صقلية محطة لشن المزيد من الهجمات والاستيلاء على مناطق جديدة في حوض المتوسط وشمال أفريقيا، وفي ذات الوقت فقد بذلوا كل الجهد لتظل الجزيرة كالصرة يلعبون من خلالها دور الوسيط التجاري النموذجي في الرحلات التجارية داخل حوض هذا البحر وعالمه في العصور الوسطي[1].

لقد أسس النورمان دولتهم في صقلية وجنوب إيطاليا عن طريق اللصوصية وقطع الطريق، وارتكاب كل أنواع العنف، فلم يكن لشئ قدسية في نظرهم [2] ورغم

ذلك فالدولة التي أسسوها تحتل مكانة هامة في تاريخ العصور الوسطي عامة، وفي تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب داخل حوض البحر المتوسط خاصة؛ وهذا يرجع إلى نجاحهم في استبقاء كل العناصر التي كان يمكن أن تفيدهم في بناء حضارتهم وكيانهم بصرف النظر عن الاختلاف عنهم من ناحية الأصل والدين والمذهب[3].

سعى النورمان كذلك لاستمرار علاقاتهم التجارية والسلمية الطيبة مع الشرق الإسلامي وبصفة خاصة مع الدولة الفاطمية في مصر، وهناك الكثير من الأدلة التي تؤكد ذلك، ورغم هذا فلم ينسوا دائماً طموحاتهم التوسعية ومغامراتهم وأطماعهم اللانهائية، فاخترقوا المعاهدات والهدن، وقاموا بين الحين والآخر بالعديد من الهجمات على مدن النيل والدلتا المصرية، وهي هجمات حملت شكل الغارات المدمرة التي غالباً ما اتسمت بالسلب والنهب وخاصة بعد نهاية عهد روجر الثاني Roger II (1112 – 1154م / 506 – 548هـ).

وهذه الدراسة هي محاولة للكشف عن الأسباب والدوافع أو محاولة إيجاد تفسير واضح لهذه الغارات على مصر خاصة مع وجود العلاقات السلمية بين نورمان صقلية وحكام مصر من الفاطميين ومن بعدهم الأيوبيين.

ورغم تأثر العديد من مدن النيل والدلتا المصرية بهذه الغارات وبخاصة دمياط والأسكندرية والتي تناولت كل منها بعض الدراسات سواء كانت غارات من أوربا عامة أو من نورمان صقلية خاصة[4] فإننا سنقصر هذه الدراسة على الغارات التي قامت على مدينة تنيس المصرية بالذات في الفترة ما بين عامي 1154 – 1177م / 549–573هـ وسنحاول التعرف على الإضرار التي وقعت على هذه المدينة والتي أدت بعد ذلك إلى تدميرها نهائياً في القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري بحيث صارت من حينها وحتى الآن واحدة من المدن المندثرة، وهل كانت هناك أسباب لتوجيه هذه الغارات إلى تلك المدينة بالذات عن

تعمد وقصد، أم أن تلك الهجمات كانت موجهة في الأساس إلى دمياط لأهميتها للصليبيين عامة ولنورمان صقلية خاصة، ثم طالت تنيس في ركابها؟

أما عن الحدود الزمنية لهذا الموضوع، وأسباب اختياره، فقد اخترنا الفترة التي تلت وفاة الملك النورماني روجر الثاني Roger II في عام (1154م / 549هـ، وحتى عام 1177م / 573هـ) أي فترة حكم وليام الأول William I (1154–1166م / 549–562هـ) وجزء من حكم وليام الثاني William II (1166–1189م / 562–585هـ) الإبن الأكبر لوليام الأول، وهي ذات الفترة التي تمتد من أواخر حكم الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله (544–549هـ / 1149–1154م) وتنتهي بعد سقوط الدولة الفاطمية وتمتد حتى السنوات الأولى من حكم صلاح الدين في مصر حتى عام 1177م/573هـ، أي أنها تشمل فترة الضعف الفاطمي الأخير والذي انتهى بسقوط الدولة في عام 1171م / 567هـ وبداية تأسيس صلاح الدين (1169–1193م/ 565–590هـ) لدولته الأيوبية والأخطار التي كان يعانيها في هذه الفترة المبكرة من حكمه.

أما أسباب أختيار هذا الموضوع فتعود إلى أن الكثير من الدراسات لم تتعرض لهذه الغارات؛ اعتقاداً منها أنها لا تستحق أن تفرد لها دراسة، أو لنقص المعلومات وعدم اكتمالها حول هذه الغارات وإن وجدت فهي هزيلة وغير كافية نوعاً ما، وخاصة في المصادر الغربية التي كان تركيز أصحابها منصباً بشكل كبير على الأحداث الداخلية التي وقعت في مملكة صقلية، وبصفة أكثر على الأحداث التي وقعت داخل البلاط الملكي النورماني. وإن تحدث مؤلفي هذه المصادر على الأحداث أو العلاقات الخارجية وبصفة خاصة العلاقات مع المسلمين عامة، ومصر وحكامها خاصة، كان حديثهم موجزاً اكتفوا فيه ببعض الإشارات الواهية التي لا تشف غليل أي باحث يتصدى لدراستها. وهي صعوبة من أكبر الصعوبات التي واجهتني وأنا أحاول تقصي حقائق هذه الغارات وأسبابها؛ ولذا حاولت جاهداً

أن أفسر أسباب هذه الغارات ودوافعها وما ترتب عليها من نتائج على شكل العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر في هذه الفترة الزمنية.

بناءاً على ما تقدم لم يكن تركيزي منصباً على تفاصيل هذه الغارات، والتي حاولت تجميعها من خلال بعض النتف والشذرات المتناثرة في بطون المصادر العربية بصفة خاصة، والأغرب أن المصدر الوحيد الذي كتبه أحد أبناء المدينة وهو ابن بسام التنيسي[5] لم يشر إلى هذه الغارات من قريب أو بعيد، وهذا يعود إلى أن الجزء الذي عثر عليه من مخطوطته "أنيس الجليس في أخبار تنيس" كان صفحاته محدودة أما الجزء الأكبر منه فلم يعثر عليه، أو أنه عاش بعد الأحداث فلم يهتم بذكر هذه الغارات. ولهذا فقد بدأت هذا الموضوع بنبذة مختصرة عن الأوضاع السياسية في كل من صقلية ومصر في تلك الفترة، وأثرها على شكل العلاقات بين الطرفين، وإلى أي مدى تطورت هذه العلاقات إلى حد حدوث مثل هذه الغارات.

ثم تناولت بعد ذلك تفاصيل الغارات التي قام بها النورمان في تلك الفترة، وما أصاب مدينة تنيس من جرائها، ولماذا كانت مدينة تنيس بالذات هي أكثر المدن المصرية تعرضاً لتلك الغارات من غيرها، ثم كان مسك الختام لهذا الموضوع إفراد صفحات أكثر تفصيلاً للحديث عن دوافع هذه الغارات، وأهدافها والأسباب التي قامت من أجلها.

والله أسأل أن يوفقني إلى عرض هذا الموضوع بشكل جيد عله يكون لبنة بسيطة تسد ثغرة في جوانب العلاقات بين النورمان في صقلية وحكام مصر أبان تلك الفترة، أو يكون أسهاماً جديداً للمكتبة العربية في هذا الخصوص.

والله الموفق إلى ما فيه الخير والسداد.

كانت العلاقات بين صقلية ومصر زمن الفاطميين علاقات قوية ومتينة، وهناك من الشواهد الكثيرة ما يؤكد هذه الحقيقة لعل أهمها على الإطلاق؛ أن جزيرة صقلية ظلت خاضعة زمناً طويلاً لحكم الفاطميين، وهو أمر ساهم في سهولة

الاتصال التجاري بها [6] أضف إلى ذلك قربها من السواحل المصرية، إذ أنها تقع في أقصى جنوب شبه جزيرة إيطاليا؛ ولهذا كانت نقطة اتصال بين أوربا ومصر، ولابد أن تمر بها جميع السفن المسافرة من مصر إلى الساحل الغربي لإيطاليا وإلى جنوب فرنسا وشبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا، والبرتغال)[7].

ومن قبيل تلك العلاقات الطيبة بين صقلية ومصر تبادل الرسل والخطابات بين روجر الثاني حاكم صقلية والخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (524–544هـ / 1129–1149م)، وكذلك تدخلات روجر لديه للحصول على بعض الامتيازات ليس فقط لتجار صقلية وحدها وإنما لتجار بعض المدن الأخرى المجاورة لممتلكاته والتي طلبت منه أن يتشفع لها لدى الخليفة الفاطمي [8]، بل الأكثر من ذلك أن روجر الثاني عقد معاهدة تجارية مع مصر سنة 538هـ / 1143م وللأسف لم يصلنا نصها، وهي من أوائل الإتفاقيات التجارية التي وقعت بين قوة غربية ومصر[9]، لم يكتف النورمان بذلك بل أنهم أسسوا لأنفسهم أسطولاً بحرياً قوياً للقيام بالعمليات التجارية على خير وجه[10].

هذا عن العلاقات السلمية بين نورمان صقلية والفاطميين في مصر في الفترة السابقة لموضوع البحث. **أما عن الأوضاع السياسية في كل منهما خلال فترة بحثنا**، نلاحظ أن صقلية النورمانية آنذاك كانت قد وصلت إلى أوج مجدها أيام الملك روجر الثاني الذي أسس مملكته في جنوب إيطاليا والتي أطلق عليها المؤرخون "رجنو" Regno بل اعتبروها أول دولة حديثة في أوربا [11]. والحقيقة انه كان حاكما قوياً، وإدارياً ممتازاً، ودبلوماسياً ماهراً، وقائداً عسكرياً بدا أحياناً متوحشاً ورغم ذلك فقد ترك خلفائه في حالة من الضعف وعدم القدرة على مواجهة الصعاب والمشاكل أو لم يعدهم بالقدر الكافي لمجابهة تلك المشاكل والتصدي لها وبصفة خاصة التي كانت تأتيهم من ناحية الإمبراطورية البيزنطية، والقوى الأوربية الأخرى، والمسلمين، بل حتى البابوية نفسها[12].

خلف وليام الأول والده روجر الثاني في حكم صقلية، حيث ألبسه كبار رجال المملكة النورمانية التاج المقدس يوم عيد الفصح في أبريل 1154م/549هـ[13] وكان ارتقاء وليام للعرش في فترة عصيبة مليئة بالاضطرابات الداخلية والمشاكل العرقية والتهديدات الخارجية، لكنها تفاقمت في عهده بسبب عجزه الكبير، وعدم أهليته، وشكه في المحيطين به؛ لدرجة جعلت بعض المؤرخين يشيرون إلى أنه أصيب بجنون العظمة الذي يعرف حديثاً باسم البرانويا. كما كان كسولاً غير قادر على الاضطلاع بأمور دولته بشكل فاعل، ومما عرف عنه أنه كان يميل إلى حياة الدعة في القصور بين الحريم، وكان كوالده يحب مناقشة المسائل الفلسفية مع العلماء البيزنطيين والمسلمين وهذا صرفه كثيراًعن شئون مملكته أو أنه استخدم أساليب غير ملائمة في الحكم [14]، اعتمد فيها بالدرجة الأولى على رجله الأول مايودي باري [15] Mayo De Bary الذي ساهم هو الأخر بأساليبه وأفعاله في زيادة موجة الامتعاض من حكم وليام الأول والتمرد عليه من قبل بارونات المملكة، ذلك التمرد الذي انتهى بمقتل مايو دي باري، فعهد وليام بالحكومة إلى ثلاثة من وزرائه، وعاش فيما يشبه العزلة حتى مقتله في عام 1166م/562هـ.[16]

أما وليام الثاني فقد تولى الحكم بعد وفاة أبيه وليام الأول، كانت أمه وصية عليه لأنه كان مايزال قاصراً، وعندما تولى الحكم بعد ذلك بمفرده كان يفتقر إلى النشاط الذي تميز به النورمان، وخلد إلى حياة الراحة والدعة بين الحريم، ورغم ذلك فقد كان سياسياً ثاقب الرأي، وكان كأبيه ملماً باللغة العربية والعلوم العربية، وهو الذي شيد كاتدرائية مونريال Monreale وقصر Lacuba لاكوبا[17].

لكن عهد وليام الثاني شهد القيام بعدة حملات متتالية ضد المسلمين في شمال أفريقيا ومصر إذ هاجم الأسطول النورماني دمياط سنة 1169م / 564هـ والاسكندرية سنة 1174م / 570هـ، كما هاجم تونس مرتين الأولى سنة 1174م / 570هـ والثانية سنة 1175م / 571هـ؛ بل شاركت بعض قطع أسطول وليام أيضاً في الحملة الصليبية الثالثة على الشام (1189–1193م / 585–589هـ)[18].

يتضح مما سبق أن الفترة التي حكم فيها وليام الأول، ثم وليام الثاني كانت فترة تمتاز بالاضطرابات الداخلية والأخطار الخارجية أحياناً، وبالهدوء والسكينة – كما حدث أيام وليام الثاني– أحياناً أخرى. بينما على الجانب الآخر كان الحكم الفاطمي في هذه الفترة في حالة يرثى لها من الضعف والفوضى، إذ كانت هذه الفترة تمثل ما عرف بعهد الوزراء العظام، الذين كان الخلفاء معهم في حالة من الضعف والهزال، وكانوا مجرد دمي يحركها هؤلاء الوزراء، ولم يكن نفوذ الخليفة الفاطمي يتعد مجرد الدعاء له على المنابر في خطبة الجمعة ووضع اسمه على السكة، بينما استفحل خطر الوزراء ودخلوا في صراعات مع بعضهم بعضاً استخدمت فيها كل المناورات والأفعال السيئة للغاية والتي وصلت إلى حد الاقتتال وسفك الدماء، بالاضافة إلى حالة الإنكسار العام التي أصابت الجميع بعد فقدان الفاطميين كل نفوذ وممتلكات كان لهم بالشام سنة 548/1153هـ على أيدي الصليبيين خاصة بعد سقوط عسقلان أخر المعاقل الفاطمية هناك، بل زاد الطين بلة أن هؤلاء الصليبيين كانوا يتحرقون شوقاً للوصول إلى مصر والسيطرة عليها لتأمين ممتلكاتهم في الشام، على اعتبار أن مصر خط الدفاع الأول للفاطميين، ومصدر الإمدادات المستمرة للمسلمين المدافعين عن أراضيهم هناك[19].

فهل ساهم هذا الوضع المتدني للبلاد في طمع النورمان فيها، أو على الأقل تحقيق بعض المكاسب والغنائم من خلال مجموعة من الغارات التي لم تستهدف إلاَّ السلب والنهب والتدمير؟

والإجابة على هذا السؤال تدفعنا إلى ***إلقاء مزيد من الضوء على حجم وطبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الجانبين*** علنا نجد فيها بعض الإجابات الشافية.

فيما يتعلق بداية بالعلاقات السياسية بين نورمان صقلية ومصر في تلك الفترة نجد أن كلاً من الطرفين كان حريصاً على المحافظة على هذه العلاقة

واستمرارها، وكان حرص النورمان له مبرراته وأسبابه المتعددة منها: أن مصر كانت إحدى الدول التي تمر بها التجارة سواء كانت من الشرق أم الغرب براً وبحراً، كما سعى النورمان للاستفادة من العائدات المالية الكبيرة من وراء التجارة مع مصر، كذلك من الواضح أن قوة النورمان البحرية التي ظهروا عليها من أيام روجر الثاني جعلتهم يشعرون بدورهم التاريخي في حماية التجار الأجانب وتحويله إلى حقيقة واقعة، إذ أن الفاطميين قد شعروا بقوة هذا الأسطول البحري النورماني [20] وأنهم لا قبل لهم بمقاومته فآثروا السلامة وتجنبوا الاحتكاك به وخاصة في حالة الضعف والتداعي التي كانوا عليها، والدليل الواضح على هذا الخوف الشديد والهلع من قوة الأسطول النورماني يبدو جلياً من خلال عبارات الشكر الكثيرة التي جاءت على لسان خلفاء الفاطميين في رسائلهم لملوك صقلية، بعد تحرير مراكبهم من أسر النورمان، والذي تم مقابله تحرير أسرى النورمان لديهم[21] المهم في نهاية الأمر أن الاتفاقيات والعلاقات قد عادت بالنفع على كل من الجانبين[22].

وفيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية، فقد كانت الأساس في العلاقة بين الطرفين، فإذا كان الفاطميون قد حرصوا على هذه العلاقات رغبه في الاستفادة التجارية من ناحية، ورغبه في التخلص من خطر الممالك الأوربية ومن بينها صقلية التي كان الفاطميون يقدرون قوة النورمان بها ولا يريدون أن يكونوا خصوما لها من ناحية أخرى، وفى ذات الوقت كان النورمان أكثر حرصاً على استمرار هذه العلاقات مستغلين موقع صقلية الاستراتيجي ورغبتهم في جعلها نقطة انطلاق مثالية على طريق التجارة بين الشرق الإسلامي والغرب اللاتيني [23]وكذلك رغبتهم في توفير الاحتياجات المادية من السلع المتنوعة التي يحتاجها أهل الجزيرة، يضاف إلى كل ما سبق حرصهم على تحقيق الثراء الواسع، والحفاظ على دخل البلاط الملكي بالكامل، وملئ الخزانة بالأموال الوفيرة[24].

فيما يتعلق بالسلع والمنتجات التي كان يتم تبادلها بين البلدين مصر وصقلية فقد كان أولها الأرز الذي كان غذاءاً رئيسياً لسكان البحر المتوسط عامة

ولسكان صقلية خاصة وكذلك الجبن فقد كان أحد الأطعمة الثابتة لفقراء الناس، وشاركت جزيرة كريت جزيرة صقلية في تصديره وبصفة خاصة إلى مصر [25] بينما كانت الزيوت بمختلف أنواعها من السلع التي جرى تصديرها لمصر أيضاً[26].

يضاف إلى ذلك سلع أخرى تم تبادلها بين الجانبين مثل السكر، والبندق، واللوز والفواكه مثل الليمون والبرتقال، وكذلك القصب والنخيل، وأيضاً المنتجات الحيوانية، إضافة إلى التوابل والفلفل، والزنجبيل، والقرنفل وغيرها[27].

أما المعادن والأخشاب، فقد أشارت المصادر إلى أن الحديد لم يكن متوافراً في مصر، فجرى استيراد كميات قليلة منه من صقلية [28] وصدرت صقلية إلى مصر أيضاً الذهب والشب والكحل والعاج والرصاص والحلي والفضة والتوتيا وكذلك أحجار الكهرمان[29].

ولما كانت الأخشاب المحلية في مصر لا تكفي لصناعة السفن اللازمة للأسطول البحري فقد جرى استخدام أخشاب الصنوبر المستوردة من صقلية والمغرب[30]

كذلك كانت صقلية من أهم المساهمين في إنتاج وصناعة الحرير الفاطمية، لإمدادها مصر بما تحتاج إليه من حرير خام [31] كما جلبت مصر من صقلية الكتان والثياب المنقوشه [32] والكسوات والملابس الفاخرة كالقلنسوات المصنوعة من الفراء الأسود، كما جرى تصدير بعض أنواع الجلود الجيدة الصنع[33].

أما فيما يتعلق بالتأثيرات الثقافية المتبادلة بين الجانبين فقد ظهرت بداية بشكل واضح في التأثيرات الإسلامية العربية على ملوك النورمان في صقلية مثل: اتخاذ ملوك النورمان بعض الألقاب العربية، فوليام الأول حمل لقب الهادي بالله، أما وليام الثاني فقد حمل لقب المستعز بالله [34]، وكان هذان الملكان يتحدثان العربية بطلاقة، كما أن الحرس الخاص بوليام الأول كان به بعض السودانيين تحت إمرة قادة مسلمين[35]، ولم يخجل هذان الملكان من إطلاق بعض العبارات العربية على

حدائقهم ومبانيهم مثل "بسم الله الرحمن الرحيم، قف وانظر فسترى عملاً رائعاً يخص أحسن ملوك الأرض، وليام الثاني"[36].

يضاف إلى ما سبق أن سادة النورمان في صقلية اختفظوا بالدواوين التي نقلوها من القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية تأثراً بأولئك الفاطميين مثل ديوان الطراز، وديوان المظالم، وديوان التحقيق المعمور[37].

كما ظهر بعض علماء وأدباء المسلمين في صقلية من الذين عاشوا وعملوا بها خلال الحكم النورماني، وإن كانوا قليلي العدد بصفة عامة[38].

يتضح من كل ما سبق أنه كان هناك تأثراً بالثقافة العربية الإسلامية عند ملوك صقلية النورمان في شتى النواحي مثل نظم الحكم والإدارة والألقاب وغيرها، يضاف إلى ذلك وجود علاقات اقتصادية وتجارية متنوعة بين نورمان صقلية ومصر. فما الدافع لمثل هذه الغارات ؟

لا نستطيع الإجابة بشكل صريح على مثل هذا التساؤل، **والحل أن نستعرض تفاصيل تلك الغارات وبالأخص تلك التي اتجهت إلى مدينة تنيس** فقد نجد ضالتنا المنشودة أو نجد تفسيراً مرضياً لأسباب اندلاع هذه الغارات وأهدافها.

أولاً : غارة نورمان صقلية على تنيس 1154م / 549هـ : تضاربت روايات المصادر العربية حول توقيت حدوث هذه الغارة، فابن الأثير جعلها في عام 548هـ/1153م، فيما أشار ابن القلانسي إلى وقوع هذه الغارة في جمادى الأول عام 549هـ/1154م، ونقلها عنه أبو شامة، بينما أشار المقريزي إلى أن هذه الغارة كانت في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة للهجرة الموافق لسنة ألف ومائة وخمس وخمسون للميلاد[39].

ونحن نميل إلى رأي ابن القلانسي لقربه من الأحداث من ناحية، ولأنه أشار من ناحية أخرى إلى قيام الأسطول المصري بغزو السواحل الشامية في العام التالي 550هـ / 1155م حيث أغار على ميناء صور، وجعل ما قام به الأسطول الفاطمي رداً على الغارة الصقلية في العام السابق 549هـ / 1154م[40].

هذا التناقض في المصادر العربية جعل أحد المؤرخين المحدثين يشير إلى أن هذه الغارة استمرت لمدة عام من مارس 1153م إلى 17 مارس 1154م وهو زعم غريب ليس له ما يبرره وليس هناك أدلة أو شواهد تؤكده، خاصة وأن هذه الغارات والغارات الأخرى التي تلتها كانت غارات سريعة عنيفة القصد منها السلب والنهب والحصول على أكبر قدر من الغنائم في أقل وقت ممكن[41].

ومما يجدر ذكره أن بعض المؤرخين قد ربطوا بين نجاح النورمان في هذه الغارة، وما حصلوا عليه من غنائم بعدها، وبين نجاحهم في العام التالي 1156م / 551هـ في إلحاق هزيمة ساحقة بالبيزنطيين في معركة نيجربونت Negroponte[42]، حيث أشار المؤرخ البيزنطي كيناموس Kenamos إلى التفوق العسكري النورماني، وقوة الأسطول البحري سواء في عدد السفن أو تعداد القوات النورمانية [43] وهذا التزامن في تاريخ الغارتين يوحي بأن الانتصار البحري الكبير على البيزنطيين في نيجربونت تم بعد عودتهم من مصر بفترة وجيزة[44].

واتصالاً بما سبق من الممكن افتراض قيام الأسطول النورماني بغارتين على مدينة تنيس وليس غارة واحدة، وأن أحد هاتين الغارتين أغفلتها كل المصادر العربية ما عدا المقريزي[45].

أياماً كان الأمر فالثابت تاريخياً أن هذه الغارة الأولى وقعت بالفعل في عام (549هـ– 1154م) في عهد الخليفة الفائز بنصر الله 549–555هـ/ 1154–1160م. كما ذكرنا سابقاً وأنها توجهت في البداية إلى مدينة تنيس، وكان واليها آنذاك رجل يدعى الأوحد بن تميم، وهو من كبار الأعيان، ونظراً لخوف الصالح طلائع بن رزيك منه ومن قوته فقد نقله من تنيس ودمياط إلى أسيوط وأخميم بعد ذلك.[46]

أما باقي تفاصيل هذه الغارة فتشير إلى أن سفن الأسطول النورماني كان عددها حوالي ستين سفينة [47] وصلت إلى دمياط أولاً فعاث فيها النورمان فساداً

وقتلوا كثيراً من الأهالي، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى تنيس وأنزلوا بأهلها أشد الإيذاء، خاصة وقد دخلت سفن الأسطول الصقلي المدينة على حين غفلة من أهلها– الذين لم يكن قد وصلتهم بعد أنباء سقوط حامية دمياط واستسلام أهلها– فقتلت وأسرت وسبت ونهبت المدينة تماماً طيلة ثلاثة أيام ثم تركتها بعد ذلك قاعاً صفصفا، بل غنم رجال الأسطول الصقلي كل ما كان بالمدينة من غنائم كثيرة [48]. بينما أشار غيره من المؤرخين إلى كثرة السبايا من هذه المدينة، والذين بيعوا رقيقاً وكذلك كل ما نهب في بلاد الشام، كما أن الأسطول النورماني عاد محملاً بالذهب والفضة والثياب القيمة وهو أمر يتفق وشهرة تنيس الخاصة بالمنسوجات الفخمة[49].

ومن أغرب وقائع هذه الغارة أن النورمان أسروا الأقوياء، وقتلوا الضعفاء، فهل يمكن اعتبار أسر الأقوياء من أهالي تنيس لاستخدامهم في المبادلة إذا ما نجح الأهالي في أسر بعض جنود النورمان، أو أن هذه المبادلة كانت لأسرى من تجار صقلية وقعوا من قبل في أيدي سلطات تنيس؟ وهل كان هؤلاء الأقوياء من الصناع وبالتالي حاول النورمان الاستفادة من عدم قتلهم فنقلوهم أسرى وأحياء إلى جزيرة صقلية، خاصة أن عاداتهم سمحت لهم أن يفعلوا هذا مع البيزنطيين في مواقف سابقة [50] أما عن مصير باقي أهالي تنيس فإن من نجح في الهرب فقد سلم، خاصة وقد لاذ كثير منهم بالبحر خوفاً وهلعاً ثم عادوا بعد رحيل الأسطول، ومن بقي فقد ضاقت صدورهم وحزنوا حزناً شديداً لما أصاب مدينتهم، كما ذكرت المصادر الأخرى أن الأسطول النورماني تحرك بعد هذه الأحداث الدامية إلى رشيد والاسكندرية[51] وعندما سمع النورمان بقرب قدوم الأسطول الحربي المصري ولوا الأدبار هاربين[52].

والملاحظ أن معظم معلوماتنا عن هذه الغارة وما يتلوها من غارات جاءت من خلال المصادر العربية، بينما لا أثر لهذه الغارة في المصادر اللاتينية، فكتاب فالكاندوس Falcandus الذي خصصه للحديث عن حياة وليام الأول وأعماله، كان جل تركيزه منصباً على الأحوال الداخلية لنورمان صقلية – في عهد هذا الملك

– بصفة خاصة، دون إبراز أي اهتمام بسياستهم الخارجية فيما يخص علاقاتهم بمصر الفاطمية وهو أمر يثير الدهشة والاستغراب لأن نفس المؤرخ تحدث بشئ من التفصيل عن علاقات نورمان صقلية في عهد وليام الأول بكل من البيزنطيين والقوى الإسلامية في الشمال الإفريقي [53] فهل كان ذلك لجهله بأحداث مصر في تلك الفترة، أم عدم تقديره لقيمتها ومكانتها مع علمه بحالة الضعف التي تمر بها؟ الأمر يبدو محيراً ولا نستطيع أن نصل فيه إلى رأي واضح وإن كان الأقرب هو أنه لم يكن يعرف مصر وليس له أي دراية بجغرافيتها وأنه لم يزرها من قبل أو بعد.

ثانياً: غارات نورمان صقلية على تنيس عامي 1175و1177م / 571و573هـ:

في هذه الفترة الثانية للغارات كانت الدولة الفاطمية قد زالت من الوجود تماماً في سنة 1171م/567هـ، وتولى حكم مصر بعد ذلك صلاح الدين الأيوبي الذي نجح في تأسيس الدولة الأيوبية والتي صار عليها أن تتصدى للصليبيين والنورمان وغيرهم من أعداء البلاد[54].

على الجانب الآخر فإن هذه الفترة الثانية من الغارات تمت في عهد ملك النورمان وليام الثاني (1166–1189م/562–585هـ) ابن الملك وليام الأول الذي كان قد توفي عام 1166م / 562هـ، ويعرف وليام الثاني في التاريخ بوليام الطيب، وكان عمره حين تولى العرش لا يتعد أربعة عشر عاماً، ولذا فقد بدأ حكمه الحقيقي في عام 1171م / 567هـ، حيث كانت الخمس سنوات الأولى من حكمه في وصاية والدته مارجريت Margrate [55].

بدأ وليام الثاني نشاطه ضد المسلمين عامة بتوجيه أساطيله وحملاته عبر البحر المتوسط – رغم معارضة بعض وزرائه له – وكان من بين هذه الحملات تلك التي تكررت على سواحل مصر فأغارت أساطيله أولاً على دمياط سنة 1169م / 565هـ، ثم أغارت على تنيس مرتين في الفترة ما بين 571و573هـ / 1175و1177م[56]

بالنسبة لغارة 571هـ / 1175م، فقد وصل إلى مدينة تنيس حوالي أربعين شانية من شواني صقلية، وفرضوا عليها حصاراً لمدة يومين ثم أقلعوا عنها[57].

بالنسبة لغارة سنة 573هـ / 1177م فقد حدثت معركة ضارية شارك فيها أربعين شينيا صقلياً وبعد يومين من القتال تمكنوا من السيطرة على تنيس، وكان القائد المسلم المدافع عن تنيس آنذاك يدعى محمد بن إسحاق الذي كان النورمان قد قطعوا عليه طريق العودة إلى سفنه هو ورجاله، فتقهقر إلى مصلى بالمدينة على الطريق أو إلى مكان خلاء يؤدي فيه الصلاة، وعندما جن الليل انقض على النورمان بالمدينة وهم في حالة من النشوة بما حققوه وما سبوه وحصلوا عليه من الغنائم، وهم في هذه الحالة لم يتوقعوا أن يهاجمهم أحد من سكان المدينة، بيد أن محمد بن اسحاق نجح من خلال هذا الانقضاض في القيض على مائة وعشرون رجلاً منهم وقطع رقابهم، فلما استفاق النورمان طاردوه حتى المصلى مرة أخرى، وقاتلوه بضراوة لكنه تراجع ومعه بعض أصحابه إلى دمياط هرباً، بينما بقي سبعون آخرون من أصحابه يحاربون في المصلى، وكان طبيعياً أن تحصدهم سيوف النورمان، ومن بقي منهم حياً سار معهم إلى دمياط، ثم عاد النورمان إلى تنيس مرة أخرى وألقوا عليها النار فأحرقوها. وخرجوا منها بكثير من الغنائم التي امتلأت بها أيديهم والعديد من الأسرى الذين ظفروا بهم خلال إقامتهم التي استمرت أربعة أيام في تنيس، ومن هناك ساروا في طريقهم إلى الاسكندرية بهدف الإغارة عليها أيضاً[58].

يتضح مما سبق أن مدينة تنيس كانت القاسم المشترك في تلك الغارات النورمانية الثلاث، والتي على أثرها تعرضت المدينة للتدمير والتخريب والسلب والنهب أكثر من غيرها من مدن مصر الشمالة الأخرى التي نالتها بعض آثار تلك الغارات. وهنا يثور تساؤل **عن السر في استهداف هذه الغارات لتنيس وتركيزها عليها** أكثر من غيرها بشكل واضح.

حقيقة الأمر فإن هذا يعود إلى أهمية المدينة من الناحيتين الحربية والتجارية، وهذه الأهمية جعلتها تتعرض لتلك المخاطر التي جعلت حكام المدينة يعنون كل العناية بتحصينها وتزويدها بالحاميات التي تدافع عنها، بل الأكثر من ذلك أهمية أن السفن الحربية المصرية المشحونة بالآلات والأسلحة كانت تمر من أربعة ثغور مصرية كانت تنيس واحدة منها وهذا أكبر دليل على مكانتها الحربية[59].

أما الشهرة التجارية لتنيس فتعود إلى أن موقعها يمتاز بالتوسط بين موانى مصر الشمالة الشرقية في العصور الوسطي، الأمر الذي أكسبها دوراً هاماً قامت به خير قيام في تجارة مصر الخارجية، وصارت من خلاله أيضاً أهم الموانئ المصرية المرتبطة بالموانى الشامية وموانى شرقي البحر المتوسط. يضاف إلى ما سبق مانقله الدكتور أيمن فؤاد سيد عن المخزومى في قوله أن تنيس كانت واحدة من المدن المهمة التى تستأدى عندها ضريبة الخمس، مثلها فى ذلك مثل دمياط والإسكندرية رغم قلة المترددين عليها والأكثر وضوحا من ذلك أن تنيس كان يعقد بها بيع بالمزاد العلنى للبضائع الواردة عليها يعرف "بحلق الخمس" [60] وقد أشار اليعقوبي إلى أنها كانت مركز أو مرسى المراكب الواردة من الشام والغرب[61].

كذلك ساهمت شهرة تنيس الصناعية وتخصصها في صناعة المنسوجات في زيادة مكانتها التجارية، فقد كان معظم أهلها من الحاكة، وكانوا مياسير وذو ثراء عريض [62] وقد ذكر ابن بسام محتسب المدينة أنه كان في عهده من دور الطراز بها حوالي خمسة الآف دار، يعمل بها عشرة الآف عامل، سوى من يطيب أو يرقم من ذكر أو أنثى [63] وقد انتجت مصانع تنيس ثياباً لم يكن لها نظير في الدنيا. وقد يكون من أسباب الهجوم النورماني المتتالي عليها رغبة النورمان في الحصول على أكبر قدر ممكن من تلك المنسوجات عالية القيمة جيدة الصنعة[64].

من الناحية الحربية فبحكم موقع تنيس كجزيرة وسط بحيرة تنيس فقد كانت قاعدة مهمة للأسطول الإسلامي، وكانت تعتمد على الأسطول في الدفاع عن نفسها، وقد ذكر ناصر خسرو أنه شاهد جيشاً كاملاً بالسلاح مقيماً في المدينة، وكان هذا الجيش عبارة عن حامية عسكرية مستديمة، قد تكون فعلاً من أسباب زيادة الإغارات النورمانية عليها [65]. وقد أشار الإدريسي إلى أن بحيرة تنيس من عوامل حصانة المدينة لأنها تشغل مساحة ثلاثمائة ميل، وبها خمسين جزيرة ينبت فيها قصب الغاب كما تتصل الجزيرة بعدد آخر من البحيرات الصغيرة التي تزيد من حصانة المدينة[66].

هذا الموقع الاستراتيجي ذو الحصانة والموقع الجزري الذي يتوسط موانئ مصر الشمالة الشرقية جعلها تلعب دوراً مهماً في تاريخ مصر السياسي والحربي، وهو دور أجمعت على أهميته المصادر حتى لاقت المدينة مصيرها النهائي في العصر الأيوبي، وهو نفس الدور الذي وجه أنظار العالم الغربي المعادي لمصر ومنه النورمان بطبيعة الحال، مما جر عليها الغزو الأجنبي الذي عاد عليها بالخراب والتدمير [67].

ونظراً لخطورة موقع المدينة وأهميته انتدب السلطان صلاح الدين عام 577هـ / 1181م لعمارة تنيس وتجديد الآلات بها بعض عماله وخاصة عندما اشتد خوف الأهالي من الإقامة فيها، فأمر بعمارة سورها القديم على أساساته الباقية، إلا أنه بعد ذلك لم يجد مفراً من إخلاء المدينة ونقل أهلها إلى دمياط، في شهر صفر سنة 588هـ / 1192م، حيث أخليت المدينة من الذراري والأثقال ولم يبق سوى المقاتلة في قلعتها. وكان اخلاء المدن أمام هجوم الأعداء سياسة عسكرية دفاعية صار عليها حكام الأيوبيين وأولهم صلاح الدين[68].

أما مصير المدينة النهائي –النابع من خطورة موقعها وتعرضها الدائم للغارات الصليبية وغارات نورمان صقلية– فقد كان في عهد الملك الأيوبي الكامل ناصر الدين محمد (615–635هـ / 1218–1238م) إذ أمر في شوال من عام

624هـ / 1226م بهدم المدينة تماماً، فاستمرت خراباً ولم يبق منها إلا رسوماً وسط البحيرة، وظلت المدينة بعد اندراسها مجرد أنقاض سجلت بمصلحة حفظ الآثار العربية 1910م[69]. ولقد أشار أحد المؤرخين المحدثين تعليقاً على ما حدث للمدينة من تخريب بأن العامل الجغرافي قلل من أهمية تنيس ثم قضي عليها العامل التاريخي؛ ذلك أن تحول بحيرة تنيس إلى بحيرة ضحلة بالتدريج منع السفن الكبيرة من الوصول إليها وهو ما جعل الكامل ورجاله يقررون هدمها إلى الأبد[70].

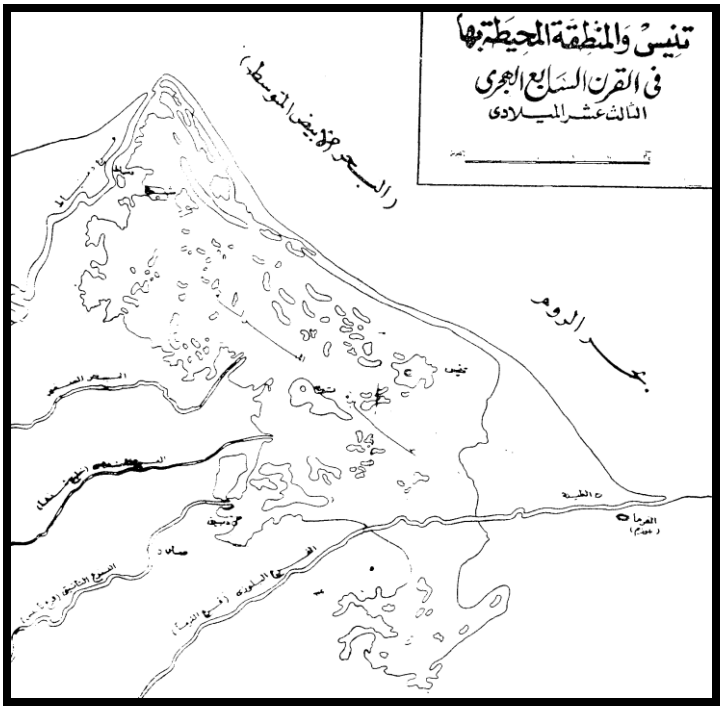

خريطة تنيس فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى

من كل ما تقدم وبعد أن استعرضنا أشكال العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر من الفاطميين والأيوبيين، وبعد تعرفنا على أسباب توجه هذه الغارات إلى مدينة تنيس بالذات لم يبق أمامنا سوى **محاولة البحث والتقصي عن الأسباب والدوافع الحقيقية التي قامت بسببها تلك الغارات.**

يمكن إجمال أسباب ودوافع قيام تلك الغارات في الأمور التالية:

أولاً: الطموحات النورمانية التوسعية الكبرى:

كانت هذه الغارات جزءاً من سياسة التوسع التي سعى إليها روجر الثاني في أحلامه [71] وتبناها أولاده من بعده،خاصة وهم أبناء جنس مشاغب سعى دائما للبحث عن مجالات جديدة للمجد والتوسع ، واعتمد فى طموحاته الكبيرة هذه على سياسة مؤداها الاستفادة من كل العناصر التي كانت موجودة في جزيرة صقلية قبل وصولهم، فلم يرفضوا شيئاً من حضارة المهزومين. وهذا المذهب التوفيقي بين الحضارات وتسامح حكام النورمان في صقلية مع أتباعهم كان اللبنة الأولى من لبنات التوسع النورماني، وصولاً إلى مزيد من السيطرة والتسلط، رغم أن وليام الأول كثيراً ما كان يفكر في مشروعات بعيدة لا طائل منها [72]، مثل هذه الغارات غير المبررة والتي اتفق وقوعها مع الخطة التي نفذها رجاله بعد وفاة روجر الثاني بأربعة شهور فقط وكان هدفها ضرب المعاقل الإسلامية ومنها تنيس بالطبع[73].

لكن رغم هذه السياسة التوفيقية، فقد كان التعصب الديني والعرقي من جانب حكام صقلية من النورمان واضحاً كما أنه يتماشى مع الطابع العام لتلك العصور الوسطى، ذلك التعصب الذي دفعهم دفعاً إلى محاولة الاستفادة من حالة ضعف الدولة الفاطمية وحكامها، ورغبتهم في استمرار سياسة المسالمة والود مع النورمان تلك السياسة النابعة من عدم قدرتهم على مقارعة كفاءة وقدرات النورمان البحرية والحربية، وبهذا توافرت لأولئك النورمان الظروف المواتية التي مكنتهم من بداية حربهم التوسعية على حساب المسلمين وأولهم الفاطميون في مصر[74].

وفيما يتعلق بتلك الطموحات أيضاً نجد أن الحكام النورمان في صقلية كان غرضهم بناء أسطول كبير، والاحتفاظ بجيش قوي لمقاومة أعداءهم، وانتهاز الفرص لمزيد من الإنتصارات والحصول على ممتلكات جديدة والهدف في النهاية واضح وهو التوسع بما يحقق لهم مزيد من الرفاهية، ومن تلك الفرص التي انتهزوها أو خلقوها لأنفسهم الإغارة على تنيس[75].

ومن قبيل هذه الطموحات التوسعية أيضاً حرص حكام صقلية النورمانيين على تأمين مواصلاتهم البحرية، لضمان وصول متاجر الشرق التي يحتاجونها، وفي هذا الخصوص عملوا على ضرورة تأمين الإبحار النيلي لمراكبهم وبضائعهم التي استوردوها من الشرق البعيد أو من الهند، خاصة وهي تمر عبر نهر النيل على مراكب شراعية توصلها إلى البحر المتوسط لتحملها سفن النورمان الكبيرة إلى صقلية(76)ولذا كان تمسكهم بالقيام بتلك الغارات على تلك المدن الواقعة على نهر النيل مثل تنيس وغيرها ضرورة ملحة بين الحين والآخر وهذا افتراض صدق عليه وأكده حرصهم على مصالحهم التجارية مع مصر وشرق البحر المتوسط، كما سبق أن ذكرنا(77).

ثانياً: كانت الغارات جزءاً من استراتيجية النورمان الحربية والسياسية في شمال أفريقيا:

هذا الأمر متصل بموضوع الطموحات التوسعية السابقة، فقد كانت كل من صقلية وشمال أفريقيا منطقة أمان للأخرى وامتداد لها في الجوار، كما كانت كلتيهما موقعاً استراتيجياً على جانب كبير من الأهمية في البحر المتوسط، وبالمثل كان نشاط أي قوة منهما يمثل تهديداً مباشراً لنشاطات الأخرى وممتلكاتها. فعندما نجح النورمان في إنشاء رأس كوبري من صقلية في شمال أفريقيا أحكموا قبضتهم على البحر المتوسط تماماً؛ بل اعدوا العدة لقطع الصلة بين الفاطميين فى بلاد المغرب والفاطميين فى مصر، لكن رحيل روجر الثاني ساهم في اضمحلال وتهاوي تلك الممتلكات النورمانية في ذات المنطقة(78).

كذلك ساهم ظهور الموحدين (541–668هـ / 1147–1269م) كقوة لها تأثيرها على مجرى الأحداث في شمال أفريقيا في زيادة قلق كل من وليام الأول ووليام الثاني اللذين كان لديهما الرغبة في تنصير مسلمي جزيرة صقلية واليهود الذين كانوا بها أيضاً. لكن تعصب وليام الأول بالذات ساهم في سوء التعامل مع

المسلمين بالجزيرة إلى حد التنكيل بهم، مما دفعهم إلى الاعتصام بالغابات والجبال بمدن الجنوب ذات الأغلبية المسلمة [79] وإن كان بعض المسلمين هناك قد إضطروا تحت وطأة هذا الضغط إلى العمل في الجيوش النورمانية، وقد يكون بعض هؤلاء كمن عملوا كأدلاء لهم ارشدوهم على بعض المناطق الإسلامية التي هاجموها، وقد يكون من بينها بالطبع تنيس،حيث أشارت بريك Brik إلى أن بعض المسلمين قد ساهموا في العمليات العسكرية والمغامرات التي قام بها النورمان خارج الجزيرة[80] بل أن فالكندوس نفسه أشار إلى بعض المهندسين العسكريين من العرب المسلمين الذين عملوا لدى النورمان بل وصنعوا لهم المجانيق وأبراج الحصار المتحركة[81].

وفي سياق هذا الإطار أيضاً يمكن اعتبار الغارات النورمانية على تنيس استمراراً طبيعياً تلقائياً للانتصارات الأخرى التي أحرزها النورمان في شمال أفريقيا[82].

والجدير بالذكر أيضاً، وفي إطار سياسة النورمان التوسعية في شمال أفريقيا بدا واضحاً أنهم رغبوا في إرهاب هؤلاء السكان ، و معهم سكان مصر من المسلمين من وراء هذه الغارات وكذلك اختبار مدى قوة دفاعاتهم؛ والدليل على ذلك ما أشار إليه أبو العافية من قيام أسطول صقلية بفرد إتاوات على كل الموانئ التي يسافرون إليها سواء كانت خاضعة لهم أم لا، وذلك على كل الطرق والمضايق على طول البحر المتوسط [83] كذلك فقد كان من ضمن أهداف هذه السياسة النورمانية في شمال أفريقيا – من خلال استخدام أساطيلهم البحرية القوية– الحصول على المزيد من المكاسب التي عجزوا عن الحصول عليها بالطرق السلمية[84].

ثالثاً: تطوير المصالح التجارية والرغبة في إزالة عوائق التبادل التجاري، في حوض البحر المتوسط بكامله:

حرص النورمان على التوسع في شمال أفريقيا، وإرهاب القوى الإسلامية القريبة من جزيرة صقلية لحماية مصالحهم التجارية وتطويرها بما يؤدي إلى جعل

صقلية قوة فاعلة في البحر المتوسط، تمكنهم من فرض نفوذهم على مداخل ومخارج هذا البحر[85].

في ذات الوقت أيضاً ورغم أن الحكومة الفاطمية كانت في آواخر عهدها إلا أنها تخلت عن سلبيتها وحاولت استعادة سيادتها الإسلامية السابقة على البحر المتوسط، وكان من أهم الإجراءات التي لجأت إليها في هذا الخصوص تقليل فتح موانيها وعاصمتها للتبادل التجاري مع الغرب، وتقليص الامتيازات التي تمنحها لتجار تلك الدول الغربية في البحر المتوسط، بل الأكثر من ذلك أنها قصرت نشاطها التجاري وحددته في مدن بعينها هي الاسكندرية ودمياط، وقد تبلورت هذه السياسة الحاسمة ما بين عامي (549 – 552هـ / 1154 – 1157م) أو ما بعد ذلك بقليل، والملاحظ أن الغارة الأولى على تنيس حدثت في غضون تلك الفترة، لكن يمكن القول إجمالاً أن العصر الفاطمي كان يتسم بتسامح مع التجار الأجانب لم يشاهد فيما بعد، وهو عصر اتسم بالتفتح والحرية [86] وما هكذا كان الحال عندما جاء صلاح الدين الذي اتخذ عدة تدابير لتقييد حرية تنقل التجار في داخل البلاد؛ منها أنه قضي على أمل الغرب ومنهم بالطبع النورمان في الحصول على فندق بالقاهرة كما وعدهم الخليفة الفاطمي من قبل عام 549 / 1154م[87].

والسؤال هنا، هل كانت هذه القيود سبباً في مضايقة نورمان صقلية؟ واقع الأمر إن رغبة النورمان في إحداث ضغط لحماية تجارتهم في الشرق يؤكد فعلاً أنهم شعروا بالضيق من هذه القيود بل ورغبوا في كسرها [88]وفي هذا الخصوص يعتقد أماري أن الحروب النورمانية التي اشتعلت ضد الفاطميين وبالتحديد بعد وفاة روجر الثاني كان الدافع لها هو التجارة، ومحاولة الفاطميين إلغاء الامتيازات التجارية التي حصل عليها النورمان من قبل بسبب تدخلات بيزا وغيرها من المدن التجارية الإيطالية[89].

لكن في نهاية المطاف نجح نورمان صقلية في السيطرة على طرق التجارة في البحر المتوسط، وزادت قدرتهم على تحسين أداء المواني الصقلية وإعدادها لاستقبال السفن التجارية، عن طريق بناء مستودعات ضخمة بها لتخزين البضائع، وبذا نجح النورمان في القضاء على السيطرة الإسلامية على هذا البحر الذي صار بحيرة نورمانية، ومن خلال ذلك سعوا لكسب المزيد من الإمتيازات التجارية في الشرق.[90]

لكن هذا التطور سيقودنا بالتأكيد للحديث عن القوى المنافسة للنورمان سياسياً وتجاريا مثل الإمبراطورية البيزنطية، والمدن الإيطالية وبخاصة بيزا، ودورها في إفساد العلاقات بين صقلية ومصر.

رابعاً: دور القوى السياسية الأخرى المنافسة في إفساد العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر:

رغم العلاقات السلبية التي جمعت بين نورمان صقلية وحكام الشمال الأفريقي إلا أن النورمان على الجانب الأخر كانوا حريصين على احترام تعهداتهم معهم حتى يتسنى لهم تحقيق سيادتهم الكاملة على البحر المتوسط سواء كان ذلك بالقوة أو بالعلاقات السلمية، بيد أن هذا الأمر أقلق القوى الأخرى المنافسة للنورمان والمتواجدة في هذا البحر، وهي القوى التي لم يكن من مصلحتها تزايد السيطرة النورمانية، ولذا سعت جاهدة لمحاولة تقويض هذا التفوق وهز أركانه بالحروب المباشرة تارة، وبإفساد علاقات النورمان بالعالم الإسلامي المتمثل في الشمال الأفريقي ومصر تارة أخرى[91].

ففيما يتعلق بالدولة البيزنطية فقد اتخذ أباطرتها إجراءات مباشرة ضد النورمان درءاً لخطرهم، فقاموا كثيراً بحشد وتعبئة مستمرة لجيوشهم في منطقة الأدرياتيك من جهة، و لجأوا إلى مضايقة النورمان والحد من قوتهم وسيادتهم البحرية بطرق غير مباشرة من جهة أخرى ، وذلك عن طريق التقرب من الفاطميين في مصر ومحاولة تقليل حماسهم للنورمان والحد من الامتيازات التي منحوها لهم،

والدليل على ذلك أن المعاهدات التي عقدت بين الدولة البيزنطية والفاطميين تضمنت – من ضمن ما تضمنته – ألا يقدم الفاطميون أية مساعدة لصاحب صقلية في حربه ضدهم. ولم يكتفوا بذلك بل وصل الأمر إلى حد طلب المساعدة المباشرة من الصالح طلائع بن رزيك الوزير الفاطمي لنجدتهم من صاحب صقلية وما فعله بهم(92).

ولا شك أن طلب المساعدة هذا يعد واحداً من الأدلة التي تؤكد قيام النورمان بالغزو والإغارة على المدن والموانئ المصرية ومنها تنيس بالطبع، فهذا الطلب بالتحديد كان في عام 553هـ / 1158م أي بعد الغارة الأولى سنة 1154م / 549هـ بأربع سنوات، وقبل الغارة الثانية سنة 1175م / 571هـ وما تلاها من غارات. بما يعنى أن قيام النورمان بالإغارة على تنيس يمكن أن يكون رد فعل لهذه المساعدات والمراسلات، رغم أن المصادر لم توضح لنا ما إذا كان الفاطميون قد التزموا بهذه التعليمات والتحذيرات البيزنطية أم لا، أو إذا كانوا قد قدموا مساعدات فعلية للبيزنطيين في هذا الخصوص(93).

أما بالنسبة للمدن التجارية الإيطالية وبصفة خاصة بيزا ودورها في تقويض العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر من الفاطميين، والذي بدا واضحاً من خلال هذه الغارات على تنيس وغيرها من مدن مصر. نقول إن موقع جزيرة صقلية الاستراتيجي، والنجاحات العسكرية الفائقة للنورمان والتي مكنتهم من السيطرة على الطرق البحرية الهامة كان أمراً شديد الوطأة على البيازنة؛ فدخلوا في حرب مباشرة مع النورمان، لكنها كانت سجالاً ولم تسفر عن تفوق أحد الطرفين على الآخر (94) هنا كان الحل البديل لحكومة بيزا هو توسيع نطاق علاقاتهم بالحكام الفاطميين في مصر، رغم حالة عدم الاستقرار التي كانت عليها العلاقات بين البلدين في الفترة السابقة لفترة الغارات النورمانية. ولهذا فقد اتخذت حكومة بيزا عدداً من الاجراءات لتقوية هذه العلاقة مع حكام مصر نذكر منها:

1 –إيفاد سفير بيزى إلى مصر يدعى رانييرى بوتاشي R. Bottacchi في عام 1154م / 549هـ، استقبله الخليفة الفاطمي الظافر استقبالاً طيباً، وكان هدف هذه السفارة إزالة بعض العوائق التي تعترض استمرار العلاقات التجارية بين البلدين، وتسوية بعض المشكلات التي نشبت بين مسافرين من البيازنة وبعض المصريين. وقد نجحت هذه السفارة فيما سعت إليه، حيث جرى إطلاق سراح بعض سجناء البيازنة مقابل تعهد حكومة بيزا بعدم مساعدة الصليبيين في الشام[95].

2 – عقد معاهدة صداقة وتجارة جديدة مع مصر وقعت بين الطرفين في مارس 1155م/ المحرم 550هـ، وبالتالي استمرت العلاقات طيبة بين الطرفين لمدة عامين، وشوهدت بعض السفن المصرية تتردد على بيزا آنذاك، والعكس بالعكس فقد ترددت سفن بيزية في الموانى المصرية وحققت مصالح حكومتها التجارية والدبلوماسية[96].

عند هذا الحد كانت شكوى النورمان من هذه الامتيازات التي منحت للتجار البيازنة، خاصة في ظل تدهور العلاقات بين النورمان وحكومة بيزا إلى حد حدوث القطيعة بينهما. وتزايدت هذه المخاوف أكثر فأكثر من إصرار بيزا على إحكام سيطرتها على مصر، وهو الأمر الذي لم يتقبله النورمان كما يقول المؤرخ كلود كاهن[97] فكان ما كان من أمر الغارات التي انطلقت تهاجم تنيس وتسويها بالأرض هي وغيرها من مدن الدلتا المصرية. وبالتالي كان هذا سبباً في توتر العلاقات المصرية النورمانية وتعديها مرحلة التخويف وتذكير المصريين بقوة النورمان إلى مرحلة السلب والنهب بشكل واضح وصريح[98].

خامساً: مدى ارتباط غارات النورمان على تنيس بالحركة الصليبية والصليبيين في الشرق:

عطفاً على ما سبق ننتقل إلى جانب آخر مرتبط بالصراع البحري والتجاري بين الشرق والغرب، وهو مدى ارتباط غارات النورمان على مصر بالحركة الصليبية وهل كانت جزءاً منها، أم كانت مجرد محاولات فردية قام بها حكام النورمان لإثبات

قدراتهم الحربية القوية من جهة، وقدراتهم على مساعدة الصليبيين وجماعات الحجاج المسيحيين القادمة إلى الشرق من جهة اخرى؟ وهل ما قام به النورمان ساهم بالفعل في تدعيم الوجود الصليبي في الشرق، أم كان مجرد جهد ضعيف لم يقدم ولم يؤخر، أو لم يساهم في انتصارات الصليبيين وتفوقهم؟.

في هذا الجانب نشير بداية إلى أن صقلية صارت في عهد النورمان نقطة هامة أو محطة رئيسية في طريق الجيوش الصليبية إلى الأراضي المقدسة، بل كانت نقطة التقاء لكثير من المغامرين الصليبيين الذين تواعدوا على المسير إلى الشرق الأدنى؛ بل أن هذه الحروب قدمت للنورمان الفرصة الذهبية لتعظيم دورهم والاستمرار فى سياستهم التوسعية [99].

لكن الواقع يشير إلى أن نورمان صقلية كانوا حريصين على مصلحتهم أولاً وفق استراتيجية تقوم على تأمين أنفسهم، وعدم المجازفة بالتعرض للخطر، ولهذا فلم يكن بمقدورهم تقديم السفن اللازمة للصليبيين لأهميتها في التصدي لأي خطر محتمل يحيق بهم، ولهذا مثلاً تقاعس روجر الثاني وانسحب من المشاركة في الحملة الصليبية الثانية، بل امتنع عن تقديم أي مساعدة بأي شكل من الأشكال لأعضاء هذه الحملة، رغم حرصه الشديد على تأكيد صداقته مع فرنسا وممثلها في الحملة الملك لويس السابع Louis VII (1137–1180م/532–576هـ) رغبة في عرقلة أي تعاون قد يحدث بينها وبين الدولة البيزنطية العدو اللدود لنورمان صقلية[100].

الأكثر من ذلك إقدام نورمان صقلية على الاستيلاء على مدينة المهدية في هذا التوقيت المتزامن مع الحملة الصليبية الثانية، وهدفهم إثبات قدراتهم وقدرات مملكتهم الكبيرة أمام القوى الأوربية المشاركة في الحملة، على أساس أن ما قاموا به يعد حربا صليبية قاموا بها وحدهم، وأن نجاحهم في السيطرة على هذا المركز البحري العسكري التجاري المهم– الذي طالما هدد جنوب أوربا، وأقض مضاجع

البابوية و كانت حريصة على تدميره– ولذا قدم النورمان كل العون للحملات الصليبية التي اتجهت إلى هذه المدينة من ناحية ، وحتى لا يطالبهم أحد بالمساهمة فى الحملة الصليبية الثانية، لانشغالهم الكامل بهذه الحرب ضد المهدية من ناحية أخرى. (101)

كذلك كانت استراتيجية النورمان تقوم على اعتقاد جازم بأن نجاح المشروعات الصليبية سيؤثر عليهم اقتصادياً، إذ أن التجارة ساعتها ستنتقل من أيديهم إلى أيدي أولئك الصليبيين المنتصرين(102).

والسؤال هنا: هل يمكن اعتبار هذه المطامح النورمانية خروجاً على الخط الصليبي، وهل كانت غاراتهم على تنيس مجرد غارات فردية بقصد السلب والنهب فقط بعيداً عن الحسابات الصليبية، أم أن ذلك كان فقط موقفاً مؤقتاً من قادة الحملة الصليبية الثانية؟

وهناك سؤال آخر أكثر أهمية هو: هل كان دور النورمان في الحروب الصليبية هو دور التابع، أم دور المشارك الكامل في تلك الحروب؟ أو بشكل آخر هل يمكن اعتبار هذه الغارات النورمانية على تنيس جزءاً من الاستراتيجية العامة للصليبيين في ضرورة السيطرة على مصر وسحقها باعتبارها رأس الأفعى التي يجب أن تقطع –على حد قول بعض الصليبيين– حتى يطيب للصليبيين المقام في الشام، لخطورة موقعها الجغرافي، وإمكانياتها الاقتصادية الهائلة التي تمد المسلمين في الشام بالمساعدات الممكنة للاستمرار في المقاومة ضدهم ، بل أن بعض الصليبيين قالوا أن الطريق إلى بيت المقدس يبدأ من القاهرة (103)؛ أم أن هذه الغارات كانت مجرد محاولة للخروج من قزمية الدور النورماني في الحركة الصليبية بصفة عامة؟

الإجابة على هذه التساؤلات لا تصل بنا إلى نتيجة محددة حول دور النورمان في تلك الحركة، بل أن الإجابات تصيبنا أحياناً بالتناقض وعدم وضوح الرؤيا، فمن جانب معين ثبت أن نورمان صقلية كانوا على صلة دائمة بالإمارات

الصليبية، وكانوا كذلك مصدر قوى للإمداد والتموين في الأزمات التي حاقت بالصليبيين، حيث قدموا كثيراً من الإعانات إلى كنائس وأديرة بيت المقدس (104) ومن جانب أخر كان إقدام النورمان على اقتراف جرائم السلب والنهب عملياً في الغارات التي قاموا بها على تنيس، التي كان أغلب سكانها من النصارى، ما يضحد الأدلة التي قدمها المؤرخون الذين مجدوهم كأبطال نصارى غيورين على العقيدة النصرانية الكاثوليكية(105).

لقد كان الشرق المسلم الحقيقي يبدو كدرب من السراب بعيد المنال قياساً إلى حجم الحماس الديني، والأحلام النورمانية التوسعية ولم يتحقق شيئ منه أو الاقتراب منه إلا في فترة متأخرة في حملة 1174م على الاسكندرية (106)، ولا شك أن خطة القيام بحرب صليبية كانت فكرة داعبت أحلام وليام الثاني، لكنها لم تترجم إلى أرض الواقع، وإن ظل الأسطول الصقلي بكل بساطة مجرد عامل مساعد على تأمين عبور الصليبيين إلى الشرق(107).

ومعنى هذا أن الدور النورماني الحقيقي في الحروب الصليبية كان دوراً بطيئاً متثاقلاً متأخراً إلى حد ما، وهذا التثاقل كان له مبرراته التي سقناها من قبل، بيد أنه كان دوراً على أية حال، وكانت تلك الغارات على تنيس جزءاً منه، في إطار سياسة كل من وليام الأول ووليام الثاني لتأمين طريق الحج وخطوط المواصلات إلى الأراضي المقدسة، وهي مساهمة دفعت الملك وليام الثاني أن يطمح في الحصول على لقب الحامي أو المدافع عن الشرق اللاتيني أو الشرق الكائن فيما وراء البحار(108).

بل يمكن اعتبار تلك الغارات على تنيس وكذلك حروب النورمان الأخرى في شمال أفريقيا – حسب أحد الآراء – نوعاً من الحرب الصليبية الموازية قاموا بها و نجحوا فيها، وخاصة مع الفشل الذريع للحملة الصليبية الثانية، فقد كان الغرب

الأوربي ينظر إلى نجاح النورمان في تلك الهجمات بنوع من الإعجاب باعتبارها فتوحاً صليبية جديدة في شمال أفريقيا ومصر[109].

سادساً : أسباب أخرى ساهمت في قيام تلك الغارات النورمانية على تنيس:

هناك بعض الأسباب الأخرى التي يمكن رصدها وإضافتها إلى الأسباب والدوافع السابقة التي ساهمت في خروج تلك الغارات ومنها:

1 – دوافع شخصية: تجسدت بشكل واضح في وليام الأول النورماني الذي كانت سياسته تميل إلى العنف والاضطهاد الديني، والذي عزاه بعض المؤرخين إلى سوء حالته الصحية ووفاة ثلاثة من أولاده خلال تسع سنوات فقط [110] يرتبط بما سبق رغبة وليام الثاني هو الآخر في الانتقام مما حل بالأسطول الصقلي في مياه الأسكندرية 1174م / 570هـ، ولأجل هذا كانت حملاته الأخرى على مصر أعوام 1175م / 571 و 1177م / 573هـ الهدف منها السلب والنهب والغنائم[111].

في هذا الإطار أيضاً أشار أماري [112] إلى أن هذه الغارات قامت بعد وفاة روجر الثاني وغياب الحكمة السياسية من القصر النورماني إلى الأبد وهو أمر ارتبط بزيادة الكراهية للمسلمين داخل جزيرة صقلية، وانسحب على المسلمين خارجها، وخاصة المعادين لهم، وقد يكون هذا مرجعه إلى طول بقاء المسلمين في صقلية وما تركه من ألم في نفوس سكانها من المسيحيين لدرجة جعلتهم عازمين على الوثوب على القوى الإسلامية ومضايقتها أياً ما كانت هذه القوى وأنى كانت، والدليل على ذلك أن وليام الأول هدد مسلمي صقلية بأنه سينزل بهم أشد الإيذاء إذا ما تعرض رجاله في غاراته الخارجية للقتل، وهذا ما دونه مؤرخه فالكاندوس[113].

كان من الطبيعي مع هذه الطبيعة المتقلبة غير المتسامحة للنورمان ونفسياتهم الطامحة ان تكون هذه الغارات في حكم العادة وبالتالي كان لا بد أن يطول الأذى مسلمي شمال أفريقيا ومصر، وهو الأمر الذي أثار كثيراً من ضروب الخشية والاستياء لدى سكان هاتين المنطقتين من المسلمين فبدأوا يعيدون النظر في أمر علاقاتهم التجارية مع صقلية إلى حد التفكير في تجميدها، وهي أمور

أثارت أولئك النورمان وجعلتهم حريصين على القيام بالكثير من الغارات الأخرى على تنيس وغيرها[114].

2 – دور الوزراء الأرمن في مصر في محاباة ذويهم من المسيحيين، وما ترتب عليه من دور الوزراء العرب والأكراد المستعربين كرد فعل لمحاباة المسيحيين الأرمن، فقد كان الوزراء العرب أقل تسامحاً ومجاملة للمسيحيين وأكثر إحساساً بما تعرضت له هذه الأراضي المصرية المسلمة على أيدي القوى الغربية من انتهاكات[115].

ولا أدل على هذا الأمر من حرص روجر الثاني على بهرام الأرمني وطلبه من الخليفة الفاطمي الحافظ أن يفرج عنه، فقد كانت هناك علاقة خاصة بين روجر الثاني وبهرام الأرمني بسبب الرابطة الدينية التي تجمعهما من ناحية، والرغبة المشتركة في التخلص من حكم الفاطميين في مصر من ناحية أخرى. ولهذا اعتبر روجر أن بهرام هو المنفذ لسياسته في مصر ورغبته في مد نفوذه إليها، وهو ما حدث في عهد ابنه وليام الأول وحفيده وليم الثاني فيما بعد من خلال غاراتهم على المدن المصرية ومنها تنيس بالطبع، بل واستمرار حملاتهم الحربية المتتالية على مصر وثغورها في وقت كانت الدولة الفاطمية فيه في حالة شديدة من التدهور والضعف والانحلال، وقد وضح هذا في حالة الرعب والخوف الشديدة التي كانت تنتاب الفاطميين من الفرنج بشكل عام والنورمان بشكل خاص[116].

3 – محاولات النورمان جلب الصناع المتميزين من مصر ومن غيرها للعمل في صناعة النسيج النورمانية بصفة خاصة، ومحاولة النهوض بها، وهو أمر يمكن استنتاجه بالقياس التاريخي إذا عرفنا أن النورمان في حملتهم على أثينا وكورنثة في عام 1147م / 542هـ، في عهد روجر الثاني اختطفوا نساجي الحرير في هذه المدن [117]، وعادوا بهم إلى بالرمو، ليزيد من كفاءة وقدرة مصانعه لإنتاج أنواع عالية القيمة من الملابس الحريرية، وبالتالي كان منطقياً أن يقوم النورمان بتكرار

هذا في مناطق أخرى مثل تنيس بالذات خاصة مع شهرة أهلها في هذه الصناعة، وأن معظمهم من الحاكة – كما ذكرنا من قبل – وأغلبهم من النصارى وبعض المسلمين المتميزين بهذه الصناعة والذين لم يكن لصناعتهم المتطورة بأنواعها المتعددة ما يمكن أن يدانيها في العالم المعروف آنذاك، كذلك أوردا بن جبير دليلاً آخر في هذا السياق وهو أن المختصين بعملية التطريز في مصانع بالرمو كانوا من مسلمي صقلية [118]. وبالتالي فلم لا يكون هؤلاء الصناع أو حتى بعضهم من بين سكان تنيس الذين جرى اختطافهم ونقلهم إلى صقلية، وخاصة مع الإشارات السابق ذكرها عن أن النورمان احتفظوا بأسراهم الأقوياء من سكان تنيس الذين وقعوا في أيديهم خلال غارة 1154م / 549هـ[119].

4- يمكن القول كذلك أن نورمان صقلية قد رغبوا في شيئ مهم جداً تمتاز به مدينة تنيس وهو ملحها الذي وصفه محتسب المدينة ابن بسام التنيسي بقوله "إن ملحها يفوق بضيائه وعذوبته كل ملح وبكثرته [120].كما أكد المقريزى هذه الحقيقة بقوله "فى بعضها ملاحات يؤخذ منها ملح عذب لذيذ ملوحته"[121]

5- تلازمت كل من تنيس ودمياط منذ الفتح الإسلامي لكل منهما في شيئ مهم أنهما صارتا لهما تاريخ من الغارات المستمرة التي تعرضتا له بدأ على يد البيزنطيين واستمر على يد الصليبيين والنورمان وغيرهم. وذلك رغم حرص وعناية الحكام المسلمين لهاتين المدينتين على تحصينهما وتذويدهما بالحاميات التي ترابط للدفلع عنهما براً وبحراً[122]

ومن هنا فقد كانت هذه الغارات على تنيس امتداداً طبيعياً للغارات على دمياط التي صارت أكثر أهمية فيما بعد خاصة بعدما ضعف شأن تنيس وتهاوت في نهاية العصر الأيوبي[123].

6- في نهاية الأمر يمكن أن نضيف إلى أن أهداف النورمان من تلك الغارات على تنيس تعود بشكل كبير إلى ما فرضته أهميتها التجارية والحربية، وخاصة ما يتعلق بسهولة اتصالها بداخلية البلاد عن طريق بحيرة المنزلة والخليج الواصل من

النيل إليها وهو أمر كان يهم تجار صقلية النورمان وحرصهم الشديد على تجارتهم وبضائعهم الأتية من الهند والشرق الأقصى التي تصل إلى موانى البحر الأحمر ثم تنقل إلى النيل ومنها إلى تنيس والفرما وغيرهما من المدن الواصلة إلى البحر المتوسط لنقلها إلى أوربا. وكلها أمور ساهمت في زيادة مكانة المدينة وأهميتها بالنسبة لنورمان صقلية فحرصوا على أن يقضوا مضاجع أهلها فيأتون بين الحين والأخر لتوجيه غاراتهم إليها سلباً ونهباً وتحريقاً[124].

الخاتمة

كان من النادر في العصور الوسطي وجود دولة في حالة سلم مع كل الدول فقد كان حق الحرب مكفولاً للجميع، وكان هناك دائماً سفناً مجهزة لضرب مصالح الأعداء، أو الانتقام منهم كرد فعل للخسائر المتعددة في الأرواح والمعدات، لقد كان هناك كثير من التجاوزات وكثير من القرصنه لغياب الأمن على سواحل البحار، وكانت أرباح القراصنه وفيرة تضاهي مداخيل النشاط التجاري العادي والقائم في جو من الود والسلم.

من هذه المنطلقات عرضنا تفصيلياً لموضوع غارات نورمان صقلية على مدينة تنيس المصرية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي / النصف الثاني من القرن السادس الهجري، في محاولة لتفسير دوافع وأسباب تلك الغارات.. وفي النهاية توصلنا إلى عدة نتائج نختم بها هذا البحث يمكن إجمالها فيما يلي:

إن أي محاولة لتفسير غارات نورمان صقلية على المدن المصرية وبخاصة تنيس تجعلنا أمام العديد من الأمور التي تبدو متداخلة بشكل يجعل تفسيرها أمراً صعباً يحتاج إلى مزيد من الجهد لتوضيحه وبيانه.

وتكمن صعوبات هذا التفسير في جو العلاقات الودية والسلمية التي كانت تجمع بين ملوك صقلية النورمان وحكام مصر من الفاطميين ومن جاء بعدهم.

لقد كانت هذه الغارات تعبيراً عن التطور الذي أصاب دولة النورمان في صقلية وتحولها إلى إحدى القوى الأوربية القوية في عالم البحر المتوسط ومحاولاتها المضنية لتحقيق بعض الطموحات العسكرية والسياسية، وتجميل شكل دولتهم، ومحاولة تنمية حضارتهم لتعلو على ممالك أوربا الأخرى ولتبدو كإحد الممالك الحديثة أكثر منها مملكة من ممالك العصور الوسطى. رغم أن هذا يتصادم مع ما

عرف عن النورمان من وحشية وهجمية في غاراتهم على المدن والبلاد التي هاجموها ومن أهمها تنيس.

ما يزيد الأمر حيرة في إيجاد تفسير لتلك الغارات هو الميل الواضح من حكام النورمان ناحية المسلمين وتبني طرائقهم في السياسة والاقتصاد والتجارة وفنون البناء والعمارة، وهو ما أكدته الآثار المتخلفة عنهم في نقوشهم وكتاباتهم على العملات والملابس، وتبنيهم بعض العلماء والفقهاء من المسلمين في بلاطهم ورعايتهم، والاعتماد عليهم في كثير من الأمور.

لكن حتى هذا أيضاً يتصادم مع الرغبة في الانتقام من المسلمين بسب بقاؤهم في صقلية لفترات طويلة من الزمن، والرغبة في إلغاء وإنهاء الامتيازات التي حصلوا عليها وهي الأمور التي حدثت بعد وفاة روجر الثاني. بل أن هذا الانتقام حركته بعض الدوافع الشخصية الأخرى لدى حكام صقلية بعد غياب الحكمة السياسية بوفاة روجر ورحيله، ووجود بعض الميول الغريبة وبخاصة في شخصية وليام الأول.

حتى ما قيل عن رغبات وليام الثاني في حماية الجماعات النصرانية في الشرق، وتأمين طريق الحجاج إلى الأراضي المقدسة في بلاد الشام، يتصادم مع تركيز الغارات وتكرارها على تنيس بالذات مع العلم أن أغلبية أهلها من النصارى –المحبين للغرباء والمتسامحين معهم والذين يحسنون صحبة من يثقون به من أولئك الغرباء– وهذا تناقض واضح في عقلية ونفسية هؤلاء الحكام النورمان.

هناك كذلك بعض الأسباب الاقتصادية في هذه الغارات مثل محاولة الحصول على الملح لجودته وأهميته لأهالي صقلية، أو جلب الصناع المهرة لتحسين صناعتهم وخاصة صناعة النسيج بالذات، إلى غير ذلك من شئون التجارة.

ونؤكد في نهاية الأمر أن هذه المدينة –على صغر حجمها وارتباطها بدمياط الأكثر منها شهرة ومكانة– و ما أكدته أحداث هذه الغارات كانت واحدة من أهم مدن مصر الصناعية والحربية في العصور الوسطي، وأن ما بقي من أنقاضها اليوم يتحدث عن مجدها الغابر وعزها الذي اندثر، وللأسف فلم يحاول أحد أن يعيد تخطيطها وتعميرها كما حدث لجارتها دمياط في أعقاب حملة لويس التاسع الملك الفرنسي عليها عام 1248–1250م/646–648هـ. وخير ما يقال عن تنيس في النهاية وكما يقول الدكتور عطيه القوصي "أنه رغم اندثارها إلى أن تاريخها العظيم ودورها الخضاري الهام سيظل دوماً يتنفس من تحت الماء".[125]

هوامش البحث

1 - Davis – Sccord, S.C., *Sicily and the Medieval Mediterranean* ,communication Networks and inter – regional exchange , Notre Dame , Indiana , U. S. A, 2007, PP. 79, 118.

2 - اتسمت حروب النورمان بالوحشية، وكثيراً ما دنسوا الأرض بسوء فعالهم، فانتهكوا المحرمات وظهروا دائماً في صورة الجنس القوي المشاغب، وكثيراً ما استخدموا القوة المفرطة ضد أعدائهم، تلك القوة التي وصلت إلى حد بقر بطون الراهبات، و التنكيل بالرجال والأطفال، ومن هنا آثاروا كراهية كل الأمم التي جاورتهم كالإنجليز والفرنسيين والفلمنكيين واللومباردين والمسلمين وغيرهم .. للمزيد عن هذه الأعمال الأرهابية للنورمان، انظر:

Haskins , C. H , *The Norman in European History* , (Cambridge. Mass, 1915), PP. 14 – 15, 195.

وأيضاً، عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، نقله إلى العربية وقدم له د/ أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1980، ص 517، فيليب تايلور، قصف العقول، ترجمة سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد256، لسنة 2000م، ص 91 – 92.

3- ذكر بعض المؤرخين أن مملكة النورمان في صقلية كانت مملكة على الطابع الشرقي الخالص الذي لم يسبق أن تواجد في ممالك النورمان الأخرى في أوربا، ويعود السبب في ذلك إلى أن النورمان استفادوا بشكل خاص من المسلمين والبيزنطيين، وكل العناصر الأخرى التي تحقق أهدافهم بصرف النظر عن معتقداتهم وطموحاتهم وأبرز دليل على ذلك استخدام روجر الثاني لكل من روبرت أوف سالزبيRobert of Salesby رئيساً لبيت المال وهو رجل انجليزي، و الراهب نيلوس دوكساباتريس Nilus Doxa patres و هو بيزنطي ، وكذلك الجغرافي الإدريس و هو عربى و الذي كتب رسالة في الجغرافيا اشتهرت باسم كتاب الملك روجر للتفاصيل عن هذا الموضوع،انظر:

Takyama , H. , *Exploring A Medieval Kingdom of Mystery , The Norman Kindom of Sicily and its administration* , (Yale University , 1990), PP.1-2, Koengsberger , H . g . ,ed , "A History of sicily:MedievaL Sicily (800-1713);Modern Sicily after 1713",by Denis Macksmith , in , ***EHR***, 25, n.336 (July, 1970) pp . 60-62

4- من أمثلة هذه الدراسات: دراسة محمود سعيد عمران وعنوانها "حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصلاح الدين فى مدينة الاسكندرية 562هـ /1167م" ضمن كتاب تاريخ سواحل مصر الشمالة عبر العصور، سلسلة تاريخ المصريين العدد 200 لسنة 2001 ص141-172؛ وأيضا دراسة علية الجنزورى وعنوانها "غارات أوربا على الشواطئ المصرية فى العصور الوسطى، تاريخ المصريين عدد 5 لسنة 1987؛ ويمكن أن تضم إلى هاتين الدراستين دراسة الدكتورة صفاء حافظ وعنوانها "الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى، دار الفكر العربى، القاهرة،1977م.

5 - إبن بسام التنيسى: أنيس الجليس فى أخبار تنيس، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة2000، ص35-41.

6 - ظلت صقلية تحت الحكم الإسلامي طوال الفترة من (295 – 484هـ / 908 – 1096م). للمزيد من المعلومات .. انظر،

Chairlle, L. C., Sicily During The Fatimid, University of Utah, 1986, PP. 13 – 14 ,50 – 89.

7 - كانت المدن الرئيسية لصقلية تطل كلها على سواحل بحرية مما جعلها عرضة لمؤثرات سياسية وثقافية متعددة ومتنوعة، انظر،

Haskins , op . cit , Loc . cit , Davis- Sccord , op . cit , PP . 118 – 119 , chairlle , op . cit , p . 2 .

وأيضاً، راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1948، ص 288 .

8 - من هذه السفارات التي تمت بين روجر الثاني والحافظ لدين الله الفاطمي، السفارة التي أرسلها الحافظ لروجر حتى يكف آذاه واعتداءته على أفريقيا وكان على رأسها مصطنع الدولة بن أحمد بن زين وذلك في عام517هـ / 1123م، وكذلك الخطاب الذي أرسله الحافظ (524-544هـ / 1129-1149م) إلى روجر بموجب كتاب مرسل إلى الأخير من صاحب أفريقيا لإطلاق سراح بعض الأسرى الذين وقعوا في أيدي روجر الثاني، الذي تشفع له وأطلق سراحهم بالفعل، وهذا الخطاب الذي نشره القلقشندي لم يكتف الحافظ فيه بالتعرض للشئون السياسية فقط، بل امتد الحديث عن تعرض سفينة مصرية للتفتيش من طرف مجهول داخل المياه الصقلية حتى وضعها روجر الثاني تحت حمايته الخاصة، ورد ملك صقلية على الحافظ بخطاب وصل بعد عزل الوزير بهرام الأرمني من وزارة الحافظ سنة 531هـ / 1137 م، ومن الممكن أن نضيف إلى كل ما سبق تدخل روجر لدى الحكومة الفاطمية سنة 1137م /531هـ وذلك لتخفيض الرسوم الجمركية على أهالي سالرنو ليدفعوا نفس القيمة التي يدفعها تجار صقلية، وكذلك تدخله للحصول على بعض الامتيازات التجارية في مصر لتجار مدينة أمالفي. للتفاصيل انظر:

القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، (1913-1920م)، ج 6، ص 458 – 463، وقد أعاد نشر الخطاب المشار إليه عبد الهادي التازي في كتابه : التاريخ الدبلوماسي لبلاد المغرب، المملكة المغربية 1987، المجلد الخامس، ص203 – 208 .

9- يخالف أبو العافية المؤرخين الآخرين، إذ يشير إلى عقد هذه المعاهدة التجارية في عام 532هـ / 1137م ومنذ ذلك التاريخ وتجار صقلية يشاهدون باستمرار في موانى مصر وأسواقها، انظر:

Abulafia, D., The Crown and The Economy under Roger II and His successor, DOP. , 37, 1983, p. 2.

وانظر أيضاً: أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر – تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية2007م، ص 532 – 533؛ حامد زيان: العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر و الشام أبان الحروب الصليبية (490 – 659هـ / 1096 – 1261م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1973، ص 78؛ أمينة الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمي (358 – 567 هـ / 969 – 1171 م)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،1994، ص 365.

10 - Haskins , op . cit , p . 221.

11 - Haskins, op . cit, p . 195, Takyama, op. cit, p. 22 .

12 - وصف المؤرخ روموبلد أوف سالرنو الملك روجر الثاني وهو ينعيه عند وفاته بأنه كان مهتماً بجمع المال، لكنه لم يكن سخياً في إنفاقه.

Romuald of Salerno , Chronicon , 1153 – 1169 , ed , Gorufi , C . A, **RIS**.7 Bologna , 1935 , ser , 2 , P . 237.

بينما وصفه البيزنطيون بأنه الطاغية الحقيقي، وتنين الجزيرة، والعدو الرئيسي لكل المسيحيين، وعلاوة على ذلك فهو الحاكم المتوحش الذي حافظ على أراضي صقلية بنفوذه وطغيانه، انظر:

Eustasios of Thessaloniki, Eustathii Thessalonicensis, Manuelis Comneni, Laudatio Fonebris, **PG**. CXXXVI, P. 983; also: Wierszowki , H . Roger II of Sicily Rex–Tyranus , in Twelfth Century plotical Thought , in **SP** , Vol , 38 , No . I (jan. 1963) p. 63

أما عن وفاة روجر فقد حدثت في27 فبراير 1154م انظر:

.Takayama, op. cit., p. 178.

13 - نقلت جو. هـ. درل عن حولية االكسندر أوف تيليس Alexander of Telese قوله عن ولدي روجر: "كان لدي الملك ولدان جنديان مظهرهما يبدو جيداً وتصرفاتهما على مستوى منضبط، وأنهما قد أوكل إليهما حكم المملكة بمجرد أن وصلا إلى سن الرشد، والواضح أن تيليس اختلط عليه الأمر فجعل وليم الأول ووليم الثانى ابنين لروجر الثانى، لكن الحقيقة أن وليم الثانى كان ابنا لوليم الأول وليس أخيه، انظر:

Drell , J . H . , Marriage , Kinship and power , family structure in principality of Salerno under Norman Rule , 1077 – 1154 , Brown university 1996 , P.II. هذا يخالف ما ذكره كثير

من المؤرخين الذين وصموهم بالضعف، وعدم القدرة على عمل أي شيئ، بل الكسل أحياناً، فابن الأثير وصف وليام الأول الذي نجح في خلافة والده روجر بأنه كان "فاسد التدبير سيئ التصوير"، انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، 1978، ج 11، ص187 كما وصفه روموبلد أوف سالرنو بأنه كان مكروها بين أهله وكانوا يخافونه، ولا يحبونه.

Romuald of Salerno, op. cit, p . 253 . CF. also , Laud , G . A . , Norman Sicily in Twelfth Century, in, **NCMH,** vol, II, Ch. 15, p. 454 .

14- بدأ حكم وليام الأول المشترك مع أبيه روجر الثاني في 8 أبريل1151م ، و هى مدة تصل إلى سنتين و عشرة اشهر تقريباً؛ واستمر حتى تتويجه في عام 1154م، وقد حضر تتويج وليام كل من كونت كونفرسانو Conversanoروبرت بازو نفيل Robert De Basonivlleوهو أكبر أبناء عمومة الملك، وقد أعطاه وليام لقب كونت لورتيللو Lorittelloوأرسله معززاً مكرماً إلى أبوليا. للتفاصيل، انظر:

Falcandus , H., The History of The Tyrants of Sicily , By Hugo Falcandus , 1154 – 1169 , Trasns by , Thomas Wiedeman, Manchester and New york , 1998 . p. 221.

15- كان مايودي باري إبناً لليودي ريزا Leo De Reiza الذي كان بارونا لبورتودكس Portojudex وكان من رجال روجر الثاني بين عامي 1144 و 1148م، أما مايو إبنه فقد ترقي حتى وصل إلى منصب المستشار الأول للمملكة أيام روجر الثاني، أما في عهد إبنه وليام فقد حمل مايو لقب أمير الأمراء حتى اغتياله في عام 1160م. اختلف مايو عمن سبقوه في أنه كان من أصول لاتينية وليس بيزنطياً، وظل طوال حياته موظفاً مدنياً فلم يشغل نفسه كثيراً بالأنشطة العسكرية وكان مايو كما يقول فالكاندوس "مصدر كل أزمة حدثت، خاصة بعد ما زادت سطوته وتشبه بالملك في سلطاته الواسعة، واتصف كثيراً بالجنون والغباء"؛ بالذات عند ما كان الملك وليام يطلب منه فعل أي شيئ وحشي مع عامة الناس مثل سمل العيون، وقطع الألسنه وما شابه ذلك . ويضيف فالكاندوس أنه لم يكن محبوباً بين العامة لدرجة أنهم عندما وجدوا جثته ملقاة في الشارع بعد اغتياله قاموا بضربها بالأقدام، وداس بعضهم عليها، وقام آخرون بطريقة عفويه باقتلاع شعر لحيته، وصفعه على وجهه. و الأغرب ان كثير من العامة ظنوا انه لم يمت ، و ان الجثة الموجودة بالطريق مجندلة فى الطين بهذه الطريقة المخزية ليست له ، و انما لأحد فرسانه.

Falcandus , op . cit . p . 78 , Romulad Salerno , op . cit , loc . cit , CF. also, Takyama , op . cit , pp . 179 – 181. ؛ وقد سماه ابن الأثير مايو البرصاني، انظر: الكامل، ج 11، نفس الصفحة السابقة.

16 - بعد اغتيال مايودي باري عين وليام الأول هنري أرسيتبوس Henry Aristippus قسيس كاتانيا مكانه وأو كل إليه مهامه وكان رجلاً ذو ثقافة عالية عالماً بالأداب البيزنطية واللاتينية وعرف لوقت طويل في الحوليات على أنه واحد من أهم وأفضل رجال الإدارة الملكية النورمانية.

Romulad Salerno, op . cit, p. 254; also . -Haskins. CH.; Lockwood , D. P. , The Sicilian Translator of The Twelfth Century and First latin version of Ptolemy's Almagest , in H. S. C. Ph. voL , 21 , 1910 , p.86. ؛ وانظر أيضاً: عزيز أحمد، المرجع السابق، ص69.

17 - حينما كان وليام يحتضر جمع رجال دولته وعلى رأسهم رئيس أساقفة سالرنو وأبلغهم بآخر أمنياته وهي أن يتولى ابنه الأكبر وليام – الذي كان عمره آنذاك لا يزيد على اثنتي عشرة سنة – الحكم بعد وفاته، بينما يكون ابنه الأصغر هنري – وكان عمره آنذاك ستة أعوام – أميراً على إمارة كابوا، وأن تكون الملكة الأم مارجريت Margrate وصية على ابنها الأكبر حتى يصل إلى سن الرشد، ويستطيع أن يحكم المملكة حكما ناضحاً لكن سلطة مارجريت اغتصبها "مجلس العشرة" الذي نصبه النبلاء الثائرون، بيد أن والتر أوف اميل Walter ophamil الإنجليزي . نجح في تجريد مجلس العشرة من كل سلطانه التي اغتصبها، وبالتالي حاز ثقة وليام الثاني عندما بلغ سن الرشد وأصبح ملكاً على صقلية .وقد أشار فالكاندوس إلى أن النساء المسلمات في بالرمو حين توفي وليام كن يلبسن الثياب الخشنة، وقد نثرن شعورهن، وملأن الفضاء بعويلهن، ورددن المراثي الشجية على أنغام الطنبور. و عند وفاته في عام 1166م دفن في كنيسة القديس بيتر، ثم أعيد دفن جثمانه مرة أخرى في موتريال 1183م/579هـ انظر،

Falcandus , op . cit , p . 137 , Romulad of salerno . pp . 261 – 62 . CF . also, Loud , op . cit , p . 454 .

وأيضاً، عزيز أحمد : المرجع السابق، ص71 .

18 - ذكر بعض المؤرخين أن عصر وليام الثاني أيضاً كان عصر تمزق وشقاق داخلي، وكان لديه هو الآخر بالمثل رئيس وزراء قوي مكروه هو ستيفن بيرشStephen of Berche انظر:

Loud , op . cit , pp . 454 – 455 , Takyama , op . cit , vol , p . 10 . ؛ وأيضاً، عزيز أحمد: المرجع السابق، ص 71؛ بينما أشار آخرون إلى أن الغابات في صقلية في عهد وليام الثاني كانت أكثر أماناً من المدن في البلاد الأخرى" وهذا دليل قاطع على الهدوء والاستقرار اللذين تمتعت بهما صقلية في عهده الذى بدأ فعليا فى عام 1171م وكان حريصا على استمرار الغارات المشار اليها، انظر

Takyama , op . cit , loc. cit.

19 - تولى حكم مصر في هذه الفترة – كما سبق أن أشرنا – الخليفة الفائز (549-555هـ/1154-1160م) الذي كان مجرد طفل صغير لم يتجاوز عمره خمس سنوات. شهد مصرع أعمامه على يد الوزراء الكبار، فتعرض الخليفة الصبي منذ ذاك إلى نوبات صرع مزمن، الأمر الذي جعل أميرات القصر الفاطمي يستدعين حاكم الصعيد طلائع ابن رزيك لإنقاذهن، فلما جاء ابن رزيك اتخذ لنفسه لقب الملك الصالح وأخذ يلهو بالخلفاء الصغار، يعين من يشاء ويعزل من يريد، ولذا فعندما أقام الخليفة العاضد555هـ / 1160م، هلل الناس للخليفة الجديد، فتعجب بن رزيك من جهل الشعب وقال "وكأني بهؤلاء الجهلة وهم يقولون ما مات الأول حتى استخلف هذا، وما علموا أنني كنت منذ ساعة استعرضهم استعراض الغنم" وأكبر دليل على مدى تعاظم نفوذ الصالح بن رزيك هو أنه أراد أن ينتقم من عمة الخليفة العاضد التي كانت قد نجحت عن طريق المال في شراء بعض الأمراء المصريين مثل ناصر الدولة ياقوت والي قوص، وابن الراعي أشد الأمراء المصريين والأمير المعظم ابن قوام الدولة صاحب الباب لقتله لكنهم لم ينجحوا ورغم ذلك فقد أصيب بإصابات طفيفة. وعند ذلك طلب من العاضد أن يسلمه عمته فخاف وأرسلها إليه لينفي علاقته بهذه المؤامرة، فما كان من ابن رزيك إلا أن خنقها. و عند ذلك الحد قامت عمة العاضد الأخرى والتي تدعى ست القصور بإحضار من قتل ابن الصالح المدعو رزيك. وفي النهاية لم يلبث هذا النزاع بين الخلفاء والوزراء، وبين الوزراء بعضهم وبعض أن أدى إلى تعرض البلاد إلى تدخل القوى الخارجية، وبالطبع منهم النورمان، هذا التدخل الذي انتهى بسقوط الدولة الفاطمية نفسها، للتفاصيل: انظر:

أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، تحقيق فليب حتى، الولايات المتحدة، برنستون 1930، ص 43-55، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 11 ص 274-276، وكذلك، وليام الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر للنشر والطباعة، بيروت، 1990، ج 2، ص 839 – 841.

وانظر أيضاً: عبد الرحمن الرافعي، وسعيد عاشور، مصر في العصور الوسطي، من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، القاهرة، ، 1970، ص 209، رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، ط 2، 1982، ج 2، ص 590 – 592، ناريمان عبد الكريم: المرأة في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة،1993،ص232-233.

20 - يقول الإدريسي عن قوة أساطيل نورمان صقلية – وبالذات في عهد روجر الثاني – "كانت أساطيل روجر متكاتفة متناصرة المدد صدق فيها الخبر الخبر، وتساوى في معرفتها السمع والبصر، فأي غرض بعيد لم يصل إليه ولم يخطر عليه، وأي حرام عسير لم يحظ به، ولم يتيسر لديه ... "، انظر:

الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص4.

بينما يشير أبو العافية إلى أن الأسطول الصقلي كان قادراً على حراسة المضايق في صقلية وأفريقيا، كما كانوا يفرضون إتاوات على جميع الموانئ التي يسافرون إليها سواء كانت تابعة لهم أو ليست كذلك على كل الطرق والمضايق على طول البحر المتوسط .انظر:

Abulafia , D. , The Two Italies , Economic relations between The Norman kingdom of Sicily and The Northmen Communes , Camb . Univ . press , 1977 , p . 86 .

21 - سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة وتحقيق حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2001م، ص 152، حامد زيان : المرجع السابق، ص76، 77 .

22 - Jones , J., The Norman Kingdon of Sicily and the Fatimid caliphate , **A N S**, T.15 , 1992 , pp . 147 – 148 .

وأيضا: عطية القوصي: مصر الفاطمية وعالم البحر المتوسط، ضمن أعمال ندوة مصر وعالم البحر المتوسط، القاهرة، 1986، ص 155، حامد زيان: المرجع السابق، ص169، البراوي: المرجع السابق، ص229 .

23 - كان طريق التجارة الرئيسي بين مصر وصقلية هو طريق التجارة الدائرية البحري في الشمال والذي يبدأ من صقلية إلى كريت وقبرص وبلاد الشام إلى مصر، كذلك كان هناك طريق بحري آخر يبدأ من الاسكندرية ماراً بسواحل المغرب، ومن هناك إلى صقلية، وإن كان الرحالة والجغرافيون قد أشاروا إلى وجود طريق بحري مباشر بين مصر وصقلية تقطعه السفينة في عشرين يوماً على قول ناصر خسرو، وثلاثين يوماً كما آشار ابن جبير، وكان فنار الاسكندرية دليلاً للسفن القادمة من صقلية، فقد كان يشاهد على بعد عشرين ميلاً، انظر:

ناصر خسرو: سفرنامة، ترجمة يحي الخشاب، القاهرة، ، 1993، ص 100، ابن جبير: رحلة ابن جبير، ضبطه ووضع فهارسه محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة،2000، ص 256.، انظر أيضا:

Sccord , Davis., op . cit , pp . 241 , 245 .

وأيضاً: عبد العزيز الدوري: صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامي من الفتح العربي حتى الغزو النورماندي، العراق، 1980، ص171.

24 - Abulafeia, D., The Crown and Economy, p. 3.

25 - أشارت ديفيز سكورد أنه جرى في أحد المرات تصدير ثلاثين صندوقاً من الجبن الصقلي شحنت من بالرمو إلى مصر، واستغرقت رحلتها تسعة وعشرون يوماً، كما ظهر الجبن الصقلي في أحد كتب الطهي العربي في الشرق الأدنى، انظر: Sccord , Davis ., op . it , p . 205

26 - أشهر أنواع الزيوت التي ظهرت في المصادر والكتب زيت الزيتون، وزيت القرطم، وزيت السمسم، وكذلك زيت بذرة الكتان، وإن أقبل الناس أكثر على زيت الزيتون سواء في الاستهلاك البشري أو كوقود للإضاءة أو لأهميته في صناعة الصابون والمنتجات الأخرى.205 – 202 . Sccord , Davis., op . cit , pp

27 - Abulafia , The Crown and Economy , p . 7, Davis sccord , op . cit , pp . 151 ,202.

وأيضاً، الدوري : المرجع السابق، نفس الصفحة، حامد زيان، المرجع السابق، ص163.

28 - المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، 1991م، ص 260، الإدريسي : المصدر السابق، ص 117، وانظر كذلك

Goitein , From The Mediterranean to India , Document on The Trade To India , South Arabia , and East Africa from The Eleventh and Twelfth Centuries , **SP** . vol, 39 , 1954 , p . 60 .

29 - زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوربا " نقله عن الألمانية، فاروق بيضون، وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، دار الآفاق، بيروت، 1981، ط 6، ص 28 .

30 - السيد عبد العزيز سالم، وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، البحرية الإسلامية في مصر والشام، الاسكندرية،1981، ص 94، البراوي : المرجع السابق، ص224 .

31 - Sccord - Davis . pp . 216 , 222 .

أشار أبو العافية إلى أن حكام صقلية كانوا حريصين على تصدير نوع من الخيوط الخام وبعض الجلود والقطن إلى مصر والشرق.

Abulafia , The Crowm and Economy , p . 8 .

32 - أشار جويتين إلى وجود تشابه كبير بين المنسوجات والأثواب الحريرية الصقلية ومثيلتها في شرق البحر المتوسط وشمال أفريقيا، إذ أن قطع الحرير والنسيج التي عثر عليها في القرن الثاني عشر الميلادي كشفت عن قيام حكام صقلية بتبني الفنون والزخارف الإسلامية، وكذلك الرموز الثقافية المستخدمة عند المسلمين في ذات القرن، بل كذلك الطرق المستخدمة في تلك الصناعة.

Goietein, op .cit, loc .cit.

33 - هونكه: المرجع السابق، نفس الصفحة.

34 - عزيز أحمد، المرجع السابق، ص 73، وقد أشار ج. بريك .Brik, J. C إلى أن العملات النورمانية التي ضربت بعد وفاة وليام الأول ظهر عليها اسم ابنه وليام الثاني وتحمل علامة مكتوب عليها "الملك وليام المبارك من الرب" وهذا يدل على أنه استبدل العبارات العربية والآيات القرآنية التي ظهرت على عملات سابقة، وحل محلها بعض العلامات المسيحية كالصليب، وكذلك بعض الألقاب مثل لقب النصرانية وغيرها".

Brik , J . C . , op . cit . p . 186 .

35 - يشير ابن جبير إلى أن الملك وليام الثاني كان عجيب السيرة في استخدامه للمسلمين، واتخاذ الفتيان، والجواري، وحرص على التشبه بحكام المسلمين، كذلك مال إلى الأبهة وتفخيم الملك، انظر: ابن جبير، الرحلة، ص 256 – 257، وانظر أيضاً، عزيز أحمد: المرجع السابق، ص74.

36- بنى وليام الأول قصره الذي عرف باسم الزيسا Zisa وتكتب بالعربية "العزيزة" وتعني القوة والنبالة، وقد أحيط القصر بأشجار الفاكهة والحدائق الخلابة، وحوله ينابيع الماء، وبعض برك الأسماك . وقد أشار فالكاندوس إلى أن وليام بني هذا القصر ليستريح فيه من مسئولياته أو يهرب منها، فقد كان كسولاً وليس كوالده الوافر النشاط، لكن من الواضح أن حكم فالكاندوس كان ظالماً، بدليل نجاح وليام في تجاوز هذه المرحلة بشكل مقبول وبهدوء .. انظر،

Falcandus , op . cit , p . 68 , CF . also , Brik , G., op cit , pp . 193 – 196 , Haskins , op . cit , pp . 225 – 226 .

وأيضاً، عزيز أحمد: المرجع السابق، ص73.

37 - حامد زيان : المرجع السابق، ص197، هونكه : المرجع السابق، ص411 .

38 - من أبرز هؤلاء الأدباء الذين زاروا صقلية أيام الملك وليام الثاني الشاعر أبو الفتوح نصر الله المعروف بابن قلاقس (1137-1172م/ 532-568هـ) والذي ولد بالاسكندرية وتعلم بالقاهرة، وقام برحلات متعددة في شتى بلدان العالم الإسلامي وقد زار صقلية عام1168م/ 564هـ، وكان في ضيافة القائد أبو القاسم بن الحجار الذي كان زعيماً للجماعة الإسلامية هناك، وقرض فيه ابن قلاقس شعراً. وهناك أيضاً مفكراً صقلياً آخر تجول في معظم العالم الإسلامي هو أبو عبد الله محمد بن ظافر الصقلي وكان عالماً وكاتباً ولد بصقلية، وذهب إلى مكة، وظل في حالة ترحال وتردد على بلاد المسلمين حتى توفي بصقلية عام 1169 – 1170م/565-566هـ، فإذا أضفنا إلى ذلك الجغرافى العربى الشهير الشريف الإدريسى، وكذلك الفيلسوف عبد الحق بن سبعين واللغوى القطاع السعدى، وكذا جمهرة من المعماريين قد أغلقت أسماؤهم وطويت تراجمهم، اتضح لنا كم كانت صقلية مركزا للثقافة والعلم بفضل هذه التأثيرات الاسلامية والعربية، للتفاصيل أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت،مجلد 5، ص 285، وذكر المقريزي أن ابن قلاقس مدح الملك روجر الصقلي نفسه، انظر: المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد، القاهرة 1996، ج3، ص277، وانظر أيضاً حامد زيان : المرجع السابق، ص 180، عثمان العكاك: مسلك القاهرة، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، 1971،ص 793 ، وكذلك Davis-Sccord , op . cit , pp . 135 , 188 .

39 -ابن الأثير : الكامل، ج 11 ص 190، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أ . آمدروز، 1908، ص 331، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجيل، بيروت، د . ت، ج 1، ص 249، 253، المقريزي : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د . ت ج 1، ص 214 . والجدير بالذكر أن الخليفة الفاطمي آنذاك كان الفائز بالله والوزير هو الصالح طلائع بن رزيك، والذي كان قد بدأ ممارسة مهام منصبه في أول يونيو 1154م/ 549هـ، وأن هذه الغارة كانت بعد وفاة روجر الثاني بأربعة شهور أنظر أيضاً، آماري: المرجع السابق، ج 3، ص 418، وأيضاً، حسن حبشي : تاريخ العالم الإسلامي، القاهرة،2006م، ج2، ص 291 .

وتنيس بكسر التاء المنقوطة باثنين من فوقها وكسر النون المشددة وياء وآخر الحروف سين مهملة : بلدة من مصر في وسط الماء وهي من كورة الخليج يقول المقريزي إنها سميت بتنيس بن حام بن نوح، ويقال بناها قبطيم أحد ملوك القبط في القديم، بينما يشير ابن بسام محتسب المدينة في العهد الفاطمي أن الذي بنى تنيس إمرأة هي بنت صاين أحد ملوك القبط؛ أما أبو المكارم فيقول إن تنيس اسم ولد لوطيس بن حربيا وهو صادوق، وهناك من يشير إلى أن اسم هذه المدينة مشتق من الكلمة اليونانية (نيسوس νισος) ومعناه الجزيرة، وأنها بالفعل كانت أرضا تحيط بها المياه من كل جانب، وكان أهلها يعتمدون على البحر فى الانتقال

من مكان إلى أخر؛ ولم يكن يضارع أرضها فى مصر كلها أرضا أخرى فى جودتها وخصبها وغناها وأنها كانت تنبت نباتا يانعا من القمح والنخيل والأعشاب وسائر الشجر، وكانت مدينة لها شيئا كبيرا من الاتساع والكبر. ويلاحظ التمييز بين تنيس هذه بكسر التاء وتشديد النون، وبين تانيس التي هي صان الحجر بمركز فاقوس الآن بمحافظة الشرقية، وبين تنيس بغير تشديد ويقال لها التينة وهي اليوم باسم البربا بمركز جرجا بمحافظة سوهاج، وهي مسقط رأس مينا أول ملوك الفراعنة. ما يهم أن مدينتا تنيس كانت قد بلغت قمة ازدهارها في العصر الفاطمي، وكان لانفرادها بذلك الموقع الجزري المتطرف الذي يتوسط موانى مصر في الشمال الشرقي مما جعلها تلعب دوراً مهماً في تاريخ مصر السياسي والحربي: للتفاصيل، انظر:

المقريزي: المصدر السابق، ج 1، ص 176؛ ابن بسام: نفس المصدر، ص 41: "تاريخ أبو المكارم "المعروف بـ تاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر بالوجه البحري، إعداد الأنبا صموئيل، النعام للطباعة والتوريدات، القاهرة، 1999، ج1، ص 109 – 110. وانظر:

http//WWW.Port Said-online.com/community/viewtopic.php?f=10&t=13837

40 - تفاصيل هذه الغارة التي أوردها ابن القلانسي يشير فيها إلى أن مقدمي الأجناد في جيش الوزير الصالح طلائع بن رزيك اختاروا مقدماً مشهوداً له بالشهامة والصرامة والبسالة وحسن السياسة، شديد البأس، بصيراً بأشغال البحر . فقام باختيار جماعة من رجال البحر يتكلمون بلسان الفرنج، وألبسهم لباس الفرنج، وأنهضهم في عدة من المراكب الأسطولية، وأقلع في البحر يكشف الأماكن والمكامن المعروفة بمراكب الروم وتعرف أحوالها، ثم قصد ميناء صور، وقد ذكر له أن فيه شختورة رومية كبيرة، فيها رجال كثير ومال وفير، فهجم عليها وملكها، وقتل من فيها واستولى على ما حوته، وأقام ثلاثة أيام ثم أحرقها وعاد في البحر فظفر بمراكب حجاج الإفرنج فقتل وأسر وانتهب، وعاد إلى مصر محملاً بالغنائم والأسرى، أنظر: ابن القلانسي : المصدر السابق، ص 231 – 332، أبو شامه : المصدر السابق، ج 1، ص 253، وأنظر أيضاً، السيد عبد العزيز سالم، والعبادي : المرجع السابق، ص125 .

41 - يشير أماري، المرجع السابق، ج 3، ص 418، 453 إلى أنه نقل هذه الرواية عن ابن الأثير، لكنه عاد فأشار إلى أن ابن الأثير قد أخطأ في نقله لروايته، أو أنه التبس عليه الأمر فقرأ تنيسTinnis بدلاً من تنس Tenes وأنها من أرض مصر، وهي في الأساس مدينة جزائرية ذكرها الأدريسي تقع على البحر الملح أي المتوسط وبينها وبين مدينة بجاية مرحلة، انظر: الادريسي : المصدر السابق، ص251 – 252.

42 - نيجربونت: الاسم الايطالى لإيوبيا وهى احدى جزر بحر ايجة تقع فى مقابل الساحل الشرقى لليونان. بها سلسلة جبال تحمل نفس الاسم، وقد آلت هذه الجزيرة للبندقية بموجب اتفاقية تقسيم الامبراطورية البيزنطية فى عام 1204م لكن البنادقة لم يسيطروا عليها تماما ولم يتخذوها قاعدة لعملياتهم فى بحر ايجة الا بعد عام 1212م ، انظر **O D B**, VOL, II, P. 1449. وأيضا محمد عثمان: إبيروس وسياستها الخرجية، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب، جامعة طنطا،1997، ص 86، حاشية1.

43 - Kinamos , j ., Deeds of John and Manuel Comnenus , Englis Trans , by . Ch . Brand , New york , 1976 , pp . 129 – 150 .

Cf. also , Magdalino , D.,P.The Empire Manuel I Kamnenus , 1143 – 1185 ,Cambridge University press , 1993 , p . 54, Lille, R. J., Handel und politic zwishen dem byzantinischen Reich und Italienischen komunen venedig, pisa und Genua in der epoche der komenen und der Angaloi (1181-1204), Amesterdam, 1984, pp. 437-483.

كان قائد الأسطول البيزنطي في هذه المعركة قسطنطين أنجيلوس Konstantin Angilos قد وقع في الأسر بعد هزيمته الساحقة .. أنظر أيضاً،

اسحاق عبيد : روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين869 – 1204 م، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص 149، عبده جمعة مسعود: السياسة الخارجية لنورمان جنوب إيطاليا وصقلية في عهد روجر الثاني (1112 – 1154 / 506 – 548هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بدمنهور، 2007م، ص 71 – 72.

44 - آماري : المرجع السابق، ج3، ص 456 .

45 - أشار المقريزي إلى أن هذه الغارة الشديدة والقوية كانت في أغسطس من نفس العام550هـ / 1154م وقد نقلها عنه أماري، أنظر: المقريزي : الخطط، ج1، ص 214 . وأيضاً : أماري المرجع السابق، نفس الصفحة .

46 - ابن تغربردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008م، ج 5، ص 312 – 313 .

47 - اتفقت كل المصادر العربية بأن عدد السفن النورمانية كان ستون سفينة أنظر:ابن الأثير : الكامل، ج 11، ص 190، المقريزي، الخطط، ج 1، ص 214، والوحيد الذي خالف هذا الإجماع كان ابن أيبك الدواداري، الذي أشار إلى أن عددها كان خمسون مركباً ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر، ج 6، "الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1961م، ص 563 . وأنظر أيضاً، أماري : المرجع السابق، ج 3، ص 455، جمعه الجندي : علاقات نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال أفريقيا خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة 194، الحولية، 23 (1423 – 1424هـ / 2002 – 2003م) مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ص71 . أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط" (35 هـ-655هـ / 978 هـ -1571م)، القاهرة، 1977، ص 27-28 .

48 - قال ابن أيبك الدوداى أن الفرنج "يقصد النورمان" أخذوا جميع من كان بالمدينة، واستأسروا الأقوياء وقتلوا الضعفاء، وغنموا من الأموال ما لا يحصى كنزه، انظر ابن أيبك: المصدر السابق، ج6،نفس الصفحة، وانظر أيضاً: محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دى برين على مصر1218-1221م/615-618هـ، القاهرة 1985، ص 59.

49 - أمارى: المرجع السابق، ج3 ' ص 451. حسن حبشى: تاريخ العالم الإسلامي ، سلسلة تاريخ المصريين، عدد 259، لسنة 2006م، ص290-291 .

50 - حدث هذا خلال حملتهم على أثينا وكورنثة عام 1147م وكان قائد الأسطول الصقلي الأدميرال سالرنو ، انظر Kenamos , op . cit , p . 118 : Falcndus,op .cit , p.173,

Otto Freising: the deeds of Fredreick Barbarossa, English Trans S. C. C. Mierow, Columbia, 1966., pp. 69-70.also Chalandon , F ., Histoire de la domination Normade En Italie et en Sicile , Paris , 1907 , vol , II , pp . 136-137.

51 - أشار المقريزي على سبيل الخطأ بأن هذه الحملة قد بعث بها إلى مصر لوجيزبن روجار صاحب صقلية، وهو يقصد بالطبع وليام الأول ابن روجر الثاني، أنظر:

المقريزي : الخطط، ج 1، نفس الصفحة، ابن القلانسي : المصدر السابق، نفس الصفحة، وأنظر أيضاً، جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ، 2000م، ص 69، وأيضاً، أحمد رمضان : المرجع السابق، ص28

Longnon , les Francias d' Outremer , Essai Sur L'Expansion Francais dans le Bassin de la Mediterranee , paris , 1929 , pp . 26 – 28 .

52 - أشار بعض المؤرخين إلى أن أسطول دمياط تصدي للنورمان حتى ردهم عنها، بل وصل الحد إلى إرسال الأسطول المصري مرة أخرى إلى سواحل الشام عام 553هـ / 1157م لتهديد الممتلكات الصليبية رداً على هذه الغارة حيث أرسل المأمون البطائحي إلى يافا اسطولاً تكون من أربعين شينياً كما أرسل العادل بن السلار المراكب الحربية إلى يافا وعكا وصيدا وبيروت وطرابلس وكان جملة ما حمله هذا الأسطول ثلاثمائة ألف دينار، أنظر:

ابن ميسر : المنتقي من أخبار مصر لابن ميسر، انتقاه المقريزي، حققه ووضع فهارسه، أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1981، ص 145 ؛ وانظر أيضاً ، الشيال : المرجع السابق نفس الصفحة، السيد عبد العزيز سالم والعبادى: المرجع السابق، ص 126، صفاء حافظ : الموانى والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة1977م، ص 83 – 84 .

53 - Falcandus , op . cit , pp . 78-79 , 225 .

54 - عن الملابسات التي أحاطت بسقوط الدولة الفاطمية وإعلان عودة مصر مرة أخرى إلى حوزة الخلافة العباسية السنية، للتفاصيل: ابن الأثير : الكامل، ج11، ص 368-371، ابن شداد : سيرة صلاح الدين المسماة بالنوادر

السلطانية والمحاسن اليوسيفية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1988،ص33-35،وانظر أيضا: رنسيمان: تاريخ الحروب الصيبية، ترجمة السيد الباز العريبي، بيروت، ط 2، 1982، ج2، ص 636-638، سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة،1997، ص 26 – 27 .

55- Falcandus , op . cit , p . 137 , Ramuald of Salerno , op . cit , pp . 261 – 262 , C . also , Loud , op . cit , p . 454 , Takyama , op , cit , vol , 1 , p . 10.

وأيضاً: عزيز أحمد: المرجع السابق، ص70.

56 - المقريزي : الخطط، ج 1، ص 215. وأنظر أيضاً: أماري : المرجع السابق، ج 3، ص 491، الشيال : المرجع السابق، ص17، جمعة الجندي : المرجع السابق، ص81.

57 - انفرد المقريزي وحده بهذه الغارة ، وإن كان لم يفصل لنا أحداثها بوضوح . أنظر: المقريزي : الخطط، ج1، ص 180 – 181، وأنظر أيضاً، أماري : المرجع السابق، ص 499، صفي على : مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين، القاهرة،2000م، ص 74 – 75 .

وفيما يتعلق بالشواني فهي السفن الحربية الكبيرة، وكانت من أهم القطع التي يتكون منها الأسطول في الدول الإسلامية. ويستدل من النصوص التاريخية أن الشواني هي الأصل الذي يتفرع منه أسماء السفن الحربية الأخرى ولواحقها فمنها الغراب، والطريدة والجفنة والحراقة . للمزيد انظر المقريزي: الخطط ج1، ص94، وأيضا عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، القاهرة، ، 1948، 182-183، درويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم، القاهرة،1974، ص 83-85 .

58 - يلاحظ أن المقريزي أشار إلى أن عدد السفن التي هاجمت تنيس في هذه الغارة أربعين شينياً وهو نفسه العدد من السفن التي هاجمت تنيس في الغارة السابقة التي انفرد بذكرها وحده، ومن المحتمل أنه اختلط عليه الأمر وأنه لم تكن هناك سوى هذه الغارة الأخيرة عام 573هـ / 1177، والدليل على ذلك أنه كان مقتضباً في حديثه عن الغارة الأولى التي ذكرها عام 571هـ / 1175 بينما في هذه الغارة الأخرى فقد فصل على نحو ما هو موضح بالمتن وقائعها، وكالعادة فليس هناك أي ذكر لهذه الغارة في المصادر اللاتينية، للتفاصيل، أنظر: المقريزي، الخطط، نفس المجلد، نفس الصفحة، وأنظر أيضاً، أماري : المرجع السابق، ج 3، ص 499، صفى على، المرجع السابق، ص74 – 75.

Chalandon , f., op.cit , vol , 11 , p.393 وأيضاً

59 - جمال الدين الشيال : المرجع السابق، ص 10 – 11، السيد عبد العزيز سالم والعبادى: المرجع السابق، ص 131.

60 - أشار المقريزي إلى أن التجار كانوا يركبون السفن من تنيس إلى الفرما، ومنها إلى موانئ البحر المتوسط الأخرى، لكن من الواضح أن عمق بحيرة تنيس لم يكن يسمح أن تسير فيها السفن ذات الحمولة الكبيرة، وأنها كانت أكثر صلاحية لمرور السفن صغيرة الحجم، أنظر:

المقريزي : الخطط، ج 1، ص 321. وأنظر أيضاً، البراوي: المرجع السابق، ص 296، صفى على: المرجع السابق،ص69 .

61 - اليعقوبى: كتاب البلدان، ليدن،1792، ص 61، وأيضاً :أيمن فؤاد سيد: المرجع السابق، ص338.

62 - مما يجدر ذكره أن عمال صناعة النسيج والحاكة في هذه المدينة كان معظمهم أو جلهم من الأقباط، وكان تعدادهم يصل إلى عشرة الآف من سكانها وكان لهم كنائس كبيرة على البحر تتبع أسقفية كبرى من أسقفيات مصر، وقد عدد أبو المكارم سجلاً بأسماء خمسة وثلاثون بيعة لليعقوبية مستمرة فيها الصلوات إلى عام 567هـ / 1171م للتفاصيل انظر: تاريخ أبو المكارم : المصدر السابق، نفس الصفحات، المقريزي : الخطط، ج 1، ص 176؛ وأيضاً، سلام شافعي : المؤرخون النصارى في مصر الإسلامية، دراسة في السيرة والمنهج، الأنبا ميخائيل الدمراوي، أسقف تنيس وكتابه ذيل سير الآباء البطاركة، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1995، ص 34 .

63 - ذكر ابن بسام أن أهل تنيس أحبوا نقش الملابس بالصورة والرقم، والتلوين بالأصابع، وأنهم كانوا أهل كرم ومؤازرة. أنظر: ابن بسام : المصدر السابق، ص ص37، 40 – 41.

64 - كانت هناك عدة أنواع من المنسوجات التنيسية المشهورة التي لم يكن لها مثيل في العالم آنذاك نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ثياب الشرب والشروب التي بلغ أحياناً ثمن الواحد منها ألف دينار والذي قال عنه

الإدريسي : "ليس له ما يدانيه في جميع الأرض من الحسن والقيمة. أنظر، "الادريسي: المصدر السابق، ص 338 ". أما القصب التنيسي فهو نوع من الثياب الرقيقة المهلهلة كالمنخل، ولا ينسج في أي مكان آخر في العالم قصب ملون مثله. كما أن هناك البوقلمون الذي يسمى أحياناً القلموني وهو قماش ذو ألوان براقة تتلألأ إذا انكسرت عليها أشعة الشمس، وأن لونه يتغير بإختلاف ساعات النهار، يضاف إلى ما سبق أنواع أخرى من الأنسجة الشفافة، والأردية وأصناف المناديل والمناشف الفاخرة. كل هذا وغيره كثير ساعد على زيادة شهرة المدينة التي أصبحت مناط الآمال لكثير من القوى المحيطة للحصول على تلك الأنواع من المنسوجات أو حتى الحصول على صناع هذه المنسوجات وخاصة أن معظمهم من النصارى. ولا أدل على أهمية هذه المدينة صناعياً وتجارياً ما أشار إليه ناصر خسرو من أن أحد أباطرة بيزنطة عرض على أحد الخلفاء الفاطميين مائة مدينة مقابل مدينة تنيس وحدها، أنظر:

ناصر خسرو : المصدر السابق، ص 92، ابن بسام : المصدر السابق، ص 37، وأنظر أيضاً البراوي : المرجع السابق، ص 226، صفى على : المرجع السابق، ص135.

65 - ناصر خسرو : نفس الصفحة، بينما أشار ابن بسام إلى أن تنيس كان بها داراً لصناعة السفن، أنظر، ابن بسام : المصدر السابق، ص 37 .

66- من أشهر هذه البحيرات الصغيرة المرتبطة ببحيرة تنيس الكبرى، بحيرة الزار وجزيرة حصن الماء، وجزيرة تونة والبحيرة النيلية ، أنظر: "الإدريسي : المصدر السابق، ص 333، 335 ". أما بالنسبة لحصن المدينة الرئيسي فقد تأسس بعد غزو البيزنطيين لدمياط وتنيس عام238هـ / 852م في يوم عرفة، حيث دمروا دمياط وخرجوا منها إلى أشتوم تنيس فدمروها، وكان تقاعس عنبسة بن اسحاق (238-242هـ / 852-856م) والي مصر آنذاك عن مطاردتهم عند خروجهم من دمياط وتنيس سبباً فى أن يأمر المتوكل على الله (232-247هـ / 846-861م) الخليفة العباسي ببناء حصن دمياط وتنيس وحصن الفرما على البحر في عام239هـ / 853م .. للمزيد أنظر، المقريزي : الخطط، ج 1، ص 180، 312، وأنظر أيضاً، السيد عبد العزيز سالم والعبادى: المرجع السابق، ص 48، البراوي : المرجع السابق، ص 381، عطية القوصي: من أخبار المدن الإسلامية المندثرة "تنيس" ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثانى، المجلد الأول،1981، ص 41.

67 - صفاء حافظ : المرجع السابق، ص24 – 25.

68 -لجأ صلاح الدين إلى أسلوب إخلاء المدن من سكانها أو حتى تدميرها كسياسة دفاعية ض اعداء البلاد من الصليبيين، وقد كرر هذا الأمر في عسقلان في سبتمبر 1191م/19 شعبان 587هـ، والرملة واللد في 26 سبتمبر 1191م/3رمضان 587هـ، انظر عن هذا:

- Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, Trans by, M. J. Hubert, New York, 1991, P. 272; Geoffrey de Vinsouf, Crusade of Richard Coeur de lion, in Chronincls of the Crusades, London, 1848, P. 264

وانظر أيضاً : ابن الأثير: المصدر السابق، ج12، ص72، المقريزي : الخطط، ج1، ص 181، وأنظر أيضاً، الشيال : المرجع السابق، ص66-67، السيد عبد العزيز سالم والعبادى : المرجع السابق، ص275. وأيضاً: Lane-poole, Saladin, Lonoden, 1898, p. 326.

69 - المقريزي : المصدر السابق، نفس المجلد والصفحة. وأنظر أيضاً: الشيال : المرجع السابق، ص 67. ومما يجدر ذكره أن أطلال المدينة تقع الآن على بعد تسعة كليومترات جنوب غربي مدينة بورسعيد الحالية، ولم يتبق منها بشكل واضح سوى تل تنيس أو كوم تنيس. أنظر: محمد رمزي بك : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القاهرة، 1994، القسم الأول، البلاد المندرسة، ص197 .

70 - صفي على: المرجع السابق، ص304.

71- Wieruszowiski , op . cit , p . 28 .

72 - ابن جبير : الرحلة، ص257، وأنظر أيضاً، هونكه : المرجع السابق، ص410، 413.

وأيضاً: عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر، مراجعة أحمد خاكى، القاهرة،1990، ص37.

Gabrieli , F., la poltique arabe des Normands de Sicile , **SI**., 1958 , pp. 83,85.

73 - حسن حبشي: المرجع السابق، ص291.

74 - أمينة الشوربجى، المرجع السابق ، ص381-382.

75 - Abulafia , D . Crown and Economy, p. 14.

76 - كانت هناك سفن صغيرة شراعية تنقل هذه البضائع عبر النيل مثل العيشاري والسوماري، كذلك كان هناك نوع من السفن التي استخدمت في التجارة بين مصر وصقلية تسمى الهاجم، وهي نوع من السفن مصمم على أساس وجود تجويف واسع للشراب، وهي مستديرة الشكل، وهناك كذلك الأغربة التي تعني الصندوق، وهي سفن حادة الشكل تشبه سفن الدرمون التي استخدمها الرومان في الشرق .. للتفاصيل، أنظر:

Goitein , op . cit , pp . 33 , 39 .

وأيضاً درويش النخيلي: نفس المرجع والصفحة.

77 - انظر ما سبق، ص9-10.

78 - Brik, J., Op. cit., P. 23.

79 - Falcandus , op . cit , pp . 68.

80 - Brik, J., Op. cit., Loc. Cit.

81 - ابن جبير: الرحلة، ص19 : Falcandus , op . cit , pp . 78 – 79

CF . also , Gabrieli , F., op . cit , p. 85, Abulafia, D. , The Norman Kingdom of Africa , pp . 41 – 43 .

، وأنظر أيضاً، عزيز أحمد : المرجع السابق، ص81،77،45 .

82 - احتل النورمان سوسة وصفاقس وقابس في عام1148م / 543هـ كما احتلوا مدينة عنابة عام1153م / 548هـ بل أن وليام الأول أرسل عشرين شينياً لإخماد ثورة زويلة 551هـ / 1158م، ودفعت معظم بلاد أفريقيا باستثناء تونس ومدينة أو مدينتين غيرها الجزية لروجر الثاني، والذي أضاف إلى ألقابه لقب "ملك أفريقيا". أنظر:

Abulafia , D., op . Cit, pp. 45, 48.

وأيضاً، عزيز أحمد : المرجع السابق، ص 69 – 70 .

83 - Abulafia , D., the Two Italis, p. 86.

84 - Falcandus , op . cit , p . 225 , Romuald of Salerno , op . cit , p . 240 .

وأنظر أيضاً، جمعه الجندي : المرجع السابق، ص46 – 48 .

85 - جمعه الجندي: المرجع السابق، ص30.

86 - أشار كلود كاهن إلى تسامح الفاطميين مع التجار الأجانب وأن معظم التجار الإيطاليين ومنهم نورمان صقلية، ترددوا على القاهرة بشكل خاص خلال القرن الفاطمى الأول، انظر: كلود كاهن: تجار القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، دار الكتب، القاهرة،1971،ج2 ، ص 871-872.

87 -صبحي لبيب : الفندق ظاهرة سياسية واقتصادية وقانونية، ضمن ندوة مصر والبحر المتوسط، القاهرة،1986، ص 290 – 291 .

88 - عزيز أحمد: المرجع السابق، ص70 .

89 - أماري: المرجع السابق، ج3، ص 454، Gabrieli , op . cit , p . 86

90 - Goitein, op. cit., pp. 33, 39.

91 - جمعه الجندي : المرجع السابق، ص23، 29 .

92 - أشار ابن ميسر لهذه المراسلات حينما ذكر أنه في سنة 553هـ / 1158م قدم رسول ملك القسطنطينية إلى الصالح طلائع بن رزيك يطلب المساعدة وبالتحديد يطلب مراكب نجدة له على صاحب صقلية. أنظر: ابن ميسر : المصدر السابق، ص156

93 - محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994، ص 244، عارف الدوري: المرجع السابق، ص143، 146، أماري المرجع السابق، ج3، ص 453، 454 .

94 - Travaini , l. , The Norman Between Byzantium and The Islamic world , **Dop** . vol , 55 ., 2001 , p . 188.

95 - Manfroni , C.,storia della marina italiana delli invasioni brabriche al trattoto di Ninfeo , **R O L**,Tome , VII , 1899 , pp 340-342 .

وأنظر أيضاً، البراوي : المرجع السابق، ص220 – 221؛ القوصي : المرجع السابق، ص162.

96 - في هذه المعاهدة أيضاً تعهدت الحكومة الفاطمية بمنح حمايتها للتجار والحجاج الذين يأتون إلى أراضيها في حالة سلمية، ويحرم من هذا الامتياز كل من كان قرصاناً وكل من يسافرون على مراكب حربية، وقد زادهم الخليفة الفاطمي العاضد نخبة من المنح والامتيازات الأخرى . أنظر:

Amari.M, Diplomi arabi del real Archivio Fiorentino ,Florence , 1863 (vol , 2 , N.5.p.253) .

لكن الغريب أن بيزا قامت بدور مزدوج حينما تعاونت مع الصليبيين في الحملة على دميا 169م / 565هـ. أنظر كذلك:

هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي، ترجمة عز الدين إسماعيل، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ج 1، ص 142، أماري : المرجع السابق، ج 3، ص 456، القوصي : المرجع السابق، ص 163، أحمد رمضان : المرجع السابق، ص17.

97 - كلودكاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة، ، 1995، ص 162، 177 .

وقد زاد من وطأة هذه الامتيازات البيزية في مصر على النورمان، التحالف الذي قام بين بيزنطة وبيزا وجنوة، حيث وافق الجميع على ضرب حصار حول صقلية في حوض البحر المتوسط غربه وشرقه. أنظر:

Codice Diplomatico della Repubblica di Genova , acura dic . Amari, M., Imperiale di sant Angelo (Roma , 1936) , N . 195 ,

CF . also, Travaini , L . op . cit , loc . cit .

98 - كاهن: المرجع السابق، ص177.

99 - Davis Sccord , op . cit , pp . 241 , 245 .

وأيضاً عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص37، 60.

100- يرى أحد الباحثين المحدثين أن نورمان صقلية قد أسرعوا بالدخول بقوة وشجاعة إلى جانب الحركة الصليبية، بل أنه اعتبر أن صقلية برزت كمملكة نتيجة الحرب الصليبية الثانية، بعد مساعدتهم لويس السابع فى طريق عودته بعد فشل الحملة خاصة عندما نزل كالابريا. عزيز سوريال عطية: المرجع السابق، ص 60، وكان روجر الثانى كما يشير "زابوروف" قد تعهد للويس فقط بتأمين المأكولات ووسائط النقل لجنود الحملة الثانية، وكان روجر ينظر لنفسه بإعتباره حامى المسيحية رغم أنه لم يشارك فى هذه الحملة بطريقة فعلية. انظر زابوروف: الصليبيون فى الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1986، ص 180. هذا فى الوقت الذى أشار فيه "ماستناك" إلى ان جهد روجر فى الحملات الصليبية- وبالطبع من ورائه أولاده- كان جهداً مخلصاً بيد أنه كان جهداً فردياً. انظر ماستناك: السلام الصليبى، ترجمة بشير السباعي، القاهرة2003، ص 262.

101 - جمعه الجندي: المرجع السابق، ص23؛ عبده جمعة: المرجع السابق، ص178، 220.

102 - Wieruzowiski, H., The Norman Kingdom of Sicily and The Crusade , in , Setton , History of the Crusade , Penselphania ,Philadelphia, U . S . A . , 1962 , vol , II , pp. 21, 24.

103 - وليم الصورى: المصدر السابق، ج 2، 840، 841؛ وأيضاً: رانسيمان: المرجع السابق، ج 2، ص 590-591.

104 - Genevieve , B.B. (ed) le cartulaire Du Saint – Sepulcre De Jerusalem , Paris, 1984, Doc. N . 157, 164 , pp . 306 – 307, 316 – 317.

105 - Gabrieli, op . cit , p 84 .

106 - عن تفاصيل ما حدث للأسطول الصقلي في مياه الأسكندرية 1174م / 570هـ أنظر أبو شامة: المصدر السابق ج 1، ص 234 - 235، وانظر أيضاً: أحمد رمضان أحمد: المرجع السابق ص 31. Wieruszowki , p . 36

107 - جمعة الجندى: المرجع السابق،19-20.

108 - Wieruszowiski ,Sicily and the Crusades, pp . 33 – 34 .

109 - عزيز أحمد: المرجع السابق، ص81.

110 - أشار ابن الأثير إلى سوابق وليم الأول فى الانتقام حين ذكر قوله "إن قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهدية، قتلنا المسلمين الذين هم فى جزيرة صقلية، وأخذنا حرمهم وأموالهم. ابن الأثير: المصدر السابق، ج 11، ص 245.

111 - انظر ما سبق ص29.

112 - أمارى: المرجع السابق، ص453.

113 - Falcandus , op . cit , pp . 80 – 81 ؛ وأيضاً حسن حبشي، المرجع السابق، ص290.

114 - يقول فيليب تايلور عن نفسية وطبائع أولئك النورمان "إذا أدار النورمان أعناق جيادهم فجأة، فقد حاصروا المهاجمين وأعملوا فيهم القتل من كل جانب فلم يتركوا أحدهم حياً". تايلور: المرجع السابق، ص92.

115 - كاهن : المرجع السابق، ص159، وعزيز أحمد : المرجع السابق، ص65 .

116 - كاهن: المرجع السابق، نفس الصفحة.

117 - انظر ما سبق ص 14.

118 - ابن جبير: الرحلة، ص256-257، وأنظر أيضاً : Kenamos , op . cit , p . 118 . Chalandon , op . cit , pp . , 703-704 , Brik , op . cit , p . 174 .

119 - Davis Sccord , op . cit , p . 136 .

120 - ابن بسام: المصدر السابق، ص37، المقريزى: الخطط، ج1، ص 181.

121 - المقريزى: الخطط، ج1 ، ص 181.

122 - كان الجزء الشمالى الشرقى فى مصر يشكل كورة واحدة فى أيام الفاطميين تسمى "كورة تنيس ودمياط" انظر ناصر خسرو: المصدر السابق، ص94؛ وأيضاً: الشيال: المرجع السابق ص10، 13.

123 - المقريزى: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة. و انظر ايضاً محمد رمزى بك: المرجع السابق، ق 1، ص197.

124 - البراوى: المرجع السابق، ص281.

125 - القوصى: من أخبار المدن المندثرة "تنيس" ، ص42.

قائمة المختصرات

DOP	*Dumbarton Oaks Papers*
E.H.R	English Historical Review
HSCPH	Harvard Studies in Classical Philology
JNS	Journal of Norman Studies
N. CMH	New Cambridge Medieval History
ODP	Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols, (Oxford, 1991)
PG	Patrologia Graeca
RIS	Reviu Italarum Scriptores
SP	Speculum
SI	Studia Islamica

أولا: المصادر

(أ) المصادر الأجنبية:

-Amari,M. (ed), *Diplomi arabi del real archive Fiorentino* (Florence, 1863).

----------,*codice diplomatico della Repubblica di Genova* , a cura dic. Imperiale di sant Angelo (Roma, 1936).

- Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, Trans by, M. J. Hubert, New York, 1991.

-Eustasios of Thessaloniki, Eustathii Thessalonicensis Manueli Comneni Laudatio Fonebris, PG. cxxxvi.

– H. Falcandus , *The History of The Tyrants of Sicily. by "Hugo Falcandus" 1154 – 1169* , Trans and Annotated by Graham A. loud and Thomas Wiedeman (Mancheter And New york , 1998).

– Genevieve , B.B. (ed), *le cartulaire Du Sant – Sepulcre De Jerusalem, paris* , 1984.

-Geoffrey de Vinsouf, Crusade of Richard Coeur de lion, in Chronincls of the Crusades, London, 1848.

-Kinamos , I., *Deeds of john and Manuel Comnenus* , English Trans, CH.Brand (New york, 1976).

- Manfroni , C.,storia della marina italiana delli invasioni brabriche al troato di Ninfeo , R O L,Tome , VII , 1899.

-Otto of Freising, The Deeds of Frechick Barbarossa. , English Trans, C. C. , Mierow (Columbia , 1966).

-Romuald of Salerno , Chronicon , ed. C. A., Gorufi, RIS.7(Bologna , 1935).partial English trans by Graham A. loud and Thomas Wiedeman (Mancheter And New york , 1998).

-William of Tyre, *Historia rerum in paribus Transmarini gestarum a Tempare successorum Mahumeth Usuque ad annum domini MCCXXXlV* , ed. R. H. C. H. OCC. Tome. I, paris 1844.

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان "تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار" نقله إلى العربية د/سهيل ذكار، دمشق، ط 1، 1990م.

(ب) المصادر العربية :

– ابن الأثير: (ت 630 هـ / 1233م) أبو الحسن على بن أبي الكرم:
"الكامل في التاريخ"، 12 جزء، بيروت، 1982 م.

– ابن أيبك (ت 732 هـ / 1333م) أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري:
"كنز الدر وجامع الغرر" ، الجزء السادس: *الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية*، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1961 م.

– إبن بسام التنيسى: (تاريخ الوفاة غير معروف) محمد بن أحمد بن بسام المحتسب التنيسى:

أنيس الجليس فى أخبار تنيس، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، 2000.

– ابن تغر بردي (874هـ / 1469م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغربردي الأتابكي:

" *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* " ، 15 جزء، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، 2008م.

– ابن جبير (ت 614هـ / 1217م) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي:

" *رحلة ابن جبير* " ، ضبطه ووضع فهارسه الدكتور محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة، 2000م.

– ابن خلكان (ت 681هـ / 1282م) أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان:

""*وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* " ، حققه الدكتور إحسان عباس، 8 مجلدات، دار الثقافة بيروت، لبنان، د. ت.

_ابن شداد (ت 632هـ /1239م): بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد:

" *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية* "، مكتبة نهضة مصر، 1988م.

– ابن القلانسي: (ت 555هـ / 1160م) أبو يعلي حمزه بن أسد التميمي:

" *ذيل تاريخ دمشق* "، نشره أ. أمدورز، بيروت، 1908م.

–ابن ميسر (ت 677هـ / 1279م) تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب:

" *المنتقي من أخبار مصر* "، انتقاه تقى الدين أحمد بن على المقريزي، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه الدكتور أيمن فؤاد سيد، القاهرة، 1981م.

– أبو شامة (ت 665هـ / 1267م) شهاب الدين أبي محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل:

" *الروضتين في أخبار الدولتين* "، دار الجيل، بيروت، د.ت.

– أبو المكارم:

تاريخ أبو المكارم المعروف " بتاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني

عشر بالوجه البحري " ، الجزء الأول، إعداد الأنبا صموئيل، النعام للطباعة والتوريدات، القاهرة، 1999م.

– الإدريسي (ت 564هـ / 1168 – 1169م) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني المعروف بالشريف الإدريسي:

" *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* "، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

– أسامة بن منقذ (ت 584هـ / 1188م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد:

"*كتاب الاعتبار* "، تحقيق فيليب حتى، الولايات المتحدة، برنستون،1930م.

– المقريزي (ت 845هـ / 1442م) تقي الدين أبو العباس أحمد بن على:

"*كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية* " ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.

– " *اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء* " ، تحقيق محمد حلمي محمد، ثلاثة أجزاء، نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1976 م.

– المقدسي (عاش في ق 4 هـ / ق 10 م) شمس الدين أبو عبد الله البشاري المقدسي:

" *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* "، ط 3، القاهرة، 1991 م.

–ناصر خسرو على (ت 453هـ / 1061م) أبو معين الدين :

سفر نامة، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، القاهرة، ط 2، 1993 م.

–اليعقوبى:(ت 284هـ/897م) أحمد بن أبى يعقوب بن وهب بن واضح:

كتاب البلدان، ليدن،1792.

ثانيا: المراجع

(أ) المراجع الأجنبية :

-Abulafaia , D. , *The Crown and the Economy under Roger II and his successor* , DOP. vol , 37 , 1983 , pp. 1 – 14.

----------*The Norman kingdom of Africa and the Norman expeditions to Majorca and Muslim Mediterranean* , ANS , VII , 1985, pp. 26 – 49.

----------*The Two Italies, Economic relations Between The Norman Kingdon of Sicily and the Northern communes*; Cambridge university Press, 1977.

-Brik , J. C. , Sicilian counterpoint : power and pluralism in Norman Sicily , Uninversity of California , 2006.

-Chalandon , F. , Histoire de la domination Normade en Italie et en Sicile , 2 vols , paris , 1907.

-Chiarelli , L. C. , Sicily During the Fatimid age , University of Utah , 1986.

-Davis – Sccord , S. C. , Sicily and the Medieval Meditrranean , communication Networks and inter – regional exchange, Notre Dame , Indiana , U. S. A., 2007.

-Drell , J. H. , Marriage , kinship , and power family structure in principality of Salerno under Norman rule , 10 77 – 1154 Brown University , 1996.

-Gabriell F. , La politique arabe des Normands de Sicile, **SI**, I ,pp.83-96, 1958.

-Goitein , S. D. , From the Mediterranean to India , Document on Trade to India , south Arabia , and East Africa from the Eleveuth and twelfth Centuries, **Sp**. vol 39, PP. 18-197, 1954.

-Haskins , CH. , The Norman in European History , Cambridge, Mass, 1915.

-Haskins. CH.; Lockwood , D. P. , The Sicilian Translator of The Twelfth Century and First latin version of Ptolemy's Almagest , in **H. S. C. Ph**. voL , 21 , 1910 , pp. 75 – 102.

-Johnes , J., The Norman Kingdom of Sicily and the Fatimid caliphate , **ANS** , Tom. 15 , 1992, PP. 133-159.

-Koenigsberger , H. G. , (ed) , A history of Sicily; Medival Sicily (800/1713) ; Modern Sicily after 1713, by Denis Mack Smith, **EHR**. vol, 85, N. 336 (july. 1970) pp. 560 – 562.

-Lane-poole, Saladin, London, 1898.

- Lille, R. J., Handel und politic zwishen dem byzantinischen Reich und Italienischen komunen venedig, pisa und jenua in der epoche der komenen und der Angaloi (1181-1204), Amesterdam, 1984,

-Loud , G. A ; Norman Sicily in the Twellth Century , **NCMH** vol 17 , part II , 1908 pp. 442 – 474.

-Longnon , J., les Francias d'outre-mer, Essai sur lexpansion francais dans le Bassin de la Medterraneanee , Paris , 1929.

-Magdalino , P. , The Empire Manuel I Komnenos , 1143 – 1180 , Cambridge university press , 1933.

-Takayama , H.; Exploring Amedieval kingdom of Sicily and ; its administration, Yale University, 1990.

-Travaini , L. , The Normans Between Byzantium and Islamic world , DOP ; voL 55 , 2001 , pp. 179 – 196.

-Wiersuzowaki , H. , Roger II of Sicily , Rex – Tyranus , in Twelfth Centuy plotical thaught, **Sp**. voL 38, N. I (jan. 1963), pp. 46–78.

----------The Norman Kingdom of Sicily and the Crusade, in Setton, History of the Crusade, Pensilphania, Philadelphia, USA,1962, vol, II, pp. 3–24.

(ب) المواقع الإلكترونية:

http//WWW.PortSaid-online.com/community/viewtopic.php?f=10&t=13837

رابعاً : المراجع العربية :

-أحمد رمضان (الدكتور) تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط" (35 هـ- 655م / 978 هـ- 1571م) مشروع المائة كتاب، العدد 7، القاهرة، 1977.

-اسحاق عبيد (الدكتور): روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين (869 – 1204م) دار المعارف، القاهرة، 1970م.

-أمينة أحمد الشوربجي (الدكتور): رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي (358 – 567هـ / 969 – 1171م) القاهرة، 1994م.

-أيمن فؤاد سيد (الدكتور): الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، 2007م.

-تقى الدين عارف الدوري (الدكتور): صقلية، علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورماندي، منشورات وزارة الثقافة، العراق، 1980 م.

-جمال الدين الشيال (الدكتور): مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م.

-جمعة مصطفى الجندي (الدكتور): علاقات نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال أفريقيا خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية 23 (2002 – 2003م).

-حامد زيان غنيم (الدكتور): العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبيين (490-659هـ / 1096-1261م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، 1973م.

-حسن حبشي (الدكتور): تاريخ العالم الإسلامي، سلسلة تاريخ المصريين، عدد 259، لسنة 2006م.

-درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، مطابع الاهرام التجارية، القاهرة، 1974.

-راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة نهضة مصر، 1948.

-رانسيمان. س: *تاريخ الحروب الصليبية* ، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1982.

-زابوروف: الصليبيون فى الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1986.

-سلام شافعي (الدكتور): *المؤرخون النصاري في مصر الإسلامية* ، دراسة في السيرة والمنهج، الأنبا ميخائيل الدمراوي أسقف تنيس وكتابه (ذيل سير الأباء البطاركة) منشأة المعارف، الاسكندرية، 1995م.

-سبمينوفا.ل.أ. : *تاريخ مصر الفاطمية* ، ترجمة وتحقيق حسين بيومي، القاهرة، 2001م.

-صبحي لبيب (الدكتور): *الفندق ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية* ، ضمن ندوة مصر والبحر المتوسط، القاهرة، 1986م.

-صفاء حافظ عبد الفتاح (الدكتور): *الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي*، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م.

-صفى على (الدكتور): *مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين*، القاهرة، 2000م.

-عبد الرحمن الرافعي وسعيد عاشور: *مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني*، القاهرة، 1970م.

-عبد الهادي التازي: *التاريخ الدبلوماسي للمغرب* ، 10 مجلدات، المملكة المغربية، 1977. المجلد الخامس.

-عثمان العكاك: مسلك القاهرة، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس- أبريل) دار الكتب، القاهرة، 1971، ص779-911.

-عزيز أحمد : *تاريخ صقلية الإسلامية* ، نقله إلى العربية وقدم له أمين توفيق الطيبي، طرابلس، ليبيا، 1980م.

-عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر، مراجعة أحمد خاكى، دار الثقافة العربية،القاهرة،ط 2 ، 1990م .

-عطية القوصي (الدكتور): من أخبار المدن الإسلامية المندثرة "تنيس"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثانى، المجلد الأول ، 1981م .

ـ *مصر الفاطمية وعالم البحر المتوسط* ، ضمن أعمال ندوة مصر وعالم البحر المتوسط، القاهرة، 1986م.

-عطية مصطفى مشرفة: *نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين* (358-567هـ / 968-1171م)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1948م.

-عبده جمعه مسعود: *السياسة الخارجية لنورمان جنوب إيطاليا وصقلية في عهد روجر الثاني (1112 – 1154م / 506 – 548هـ)* ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بدمنهور، جامعة الاسكندرية، 2007م.

-فيليب تايلور: قصف العقول، ترجمة سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة، عدد 256، 2000م.

-كلود كاهن: *الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية* ، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة، 1995م.

-ـ: تجار القاهرة الأجانب فى عهد الفاطميين والأيوبيين، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس-أبريل) دار الكتب، القاهرة، 1971.

-توماس ماستناك: السلام الصليبى، ترجمة بشير السباعى، القاهرة، 2003.

-محمد جمال الدين سرور (الدكتور): سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994م.

-محمد رمزي بك: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الأول، البلاد المندرسة، القاهرة، 1994م.

-محمود سعيد عمران (الدكتور): الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دى برين على مصر 1218–1221م/615–618هـ، دار المعارف، القاهرة، 1985.
–ناريمان عبد الكريم: المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى، القاهرة، 1993.
–هايد. ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة عز الدين اسماعيل، أربعة أجزاء، القاهرة، 1985م.
–هونكه. ز: شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوربا" نقله عن الألمانية، فاروق بيضون، وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه، فاروق عيسى الخوري، دار الآفاق، بيروت، ط 6، 1981م.